علي بن محمد العيسى

العقلية الإسلامية
وفكرة المولد

عن

التربية والمجتمع

٣

الناشر

مكتبة الخانجي

١٤٠٥ هـ

الناشر مكتبة الخريجي
الرياض ـ العليا ـ شارع الاسلام
تلفون : ٤٦٤٤٣٨٤ / ٤٦٤٦٢٥٨
ص.ب ١٧٧٣٢ الرياض ١١٤٩٤
TELEX : 204573 MKTBA S.J.

الطبعة الأولى

العقليّة الإسلاميّة

وفكرة المولد

بسم الله الرحمن الرحيم

" عسى أن يهدين ربي
لأقرب من هذا رشدا " .

المحتويات

مدخل

إن من يقع فريسة الخطأ و يقترف ذنباً لايحس بجسامة وضخامة ذلك الذنب، وتلك الخطيئة الخاطئة لأن من طبيعة من يمارس سيئاً تهوين سوئه، وعدم الإحساس أو التخلص من الإحساس بالإثم، أما من نجا منه فإنه يشعر بالضخامة والجسامة و يتمكن من الرؤية.

وهذان الشعوران المختلفان يوجدان اختلافاً يشتد في الرأي فيصعب الالتقاء، وهذا عامل نفسي وسبب فكري مؤثر على المواقف يزيد احتمالات الفرقة، ويضعف احتمالات اللقاء. و بشيء من الفهم والتفهم والتفاهم وشيء من التسامح غير المخل وشيء من الشجاعة الأدبية، وشيء من حسن الظن، وشيء من تصور كبر الخطأ عند من لم يقع منه، وصغر الخطأ في

نظر الواقع فيه، والإيمان بأن العكس يضعف الاتفاق، ويوهن احتمالاته، كأن يكون لدى من لم يخطىء في ناحية ما خطأ آخر سلم منه المخطىء الأول، فنظر كل طرف من الطرفين على أن خطأه أهون وأقل من خطأ نظيره. إذا أُدْركت هذه الأحوال النفسية مع اقتناع متمكن بأن اختلاف الرأي لايفسد للود قضية في حدود تعاليم الرحمٰن وشرعه، وبشيء من تصور أن هدف الآخر هو أن يلتقي مع الأول في مسار واحد، تتشابك فيه الأيدي في إخاء وتعاون، واتجاه الى قبلة واحدة، ودين واحد، وكتاب واحد، ورسول نبي واحد، مع أمة واحدة، وفوق الجميع رب العالمين الواحد الأحد جلّ شأنه. مع هذه التصورات، واستبعاد مزالق الشيطان الرجيم، وأبا لسته من البشر الذين يعادون في خبث وتخفِّي كلمة «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله» وماتعنيه، في الوقت الذي يتظاهرون فيه بالإيمان بحرية الأديان، واحترام الأديان.

مع كل هذه الأمور، ومع يقظة الضمير، واكتمال الوعي سيكون الالتقاء على نهج واحد يستظل بكتاب

الله المجيد، وسنة نبيه الحكيمة، وهل من محبة أجمل من تلك التي تأتي ممن يريد لأخيه مايريد لنفسه و يتمنى أن يجمعهما خط سير واحد، وصحبة سفر تغذيها أخوة الأنصار والمهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وفق الله الجميع لعمل الخير وخير العمل في ظل محبة صادقة مريحة مسعدةٍ للقلب والفكر والبدن.

السلام عليكم

من يقرأ هذا الكتاب ـ إن صح أن يطلق عليه ذلك بدون تصغير ولو في حجمه ـ سيلاحظ في أكثر من موقع الإشارة إلى مانشر في صحيفة المدينة المنورة، ولن يغيب عن بال القارىء أن الحوار مع الكاتب لا مع الصحيفة لكن لاضير في شيء من إيضاح أن الصحيفة عندما أتاحت للكاتب المدافع عن فكرة المولد إبداء وجهة نظره ومبرراتها قد أتاحت أيضاً لمن عارضه إبداء وجهات نظرهم ومبرراتها، واستمر الحوار بصورة رفيعة المستوى في ظل آداب الحوار الدالة على مستويات المتحاورين، وكانت المدينة بمثابة المنبر، أو منصة الندوة التي تهيىء للآراء وأصحابها إيصال أقوالهم للقراء.

ولأني وجدت لدي شيئاً أقوله مع من قال ففضلت

أن أدلى بدلوى مع الدلاء فقد أرسلت رأيي لصحيفة المدينة، وقد كنت كتبته في ١٤٠٢/٤/١٤هـ وسبقني إلى نشره في المدينة الصحيفة قرارها بايقاف الحوار كما فهمت ذلك من خطاب أخي الفاضل رئيس تحريرها آنذاك الأستاذ أحمد محمد محمود رقم ١٤٢/ت/١٤٠٢ في ١٤٠٢/٤/٢١ وهذا نص الخطاب كما توضحه صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة المدينة للصحافة
أسست عام ١٣٥٦م

Al Madina press est.
Publishers of AlMadina Daily Newspaper
ESTABLISHED IN 1937

الرقم: ٦٩٠/ ت/١/١٤٠٢
التاريخ: ١٤٠٢/٤/٢١هـ ..
الموافق:
المرفقات: ٢٦

الاخ الكريم الاستاذ/ علي محمد العيسى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

وبعد: وصلتني رسالتكم ،وضمنها البحث الذى كتبتموه عن (المولد) وكنت اتمنى لو أنه وصلني مبكرا، لينشر ويسهم فى اثراء النقاش وصولا الى الحقيقة ..

لكن لم استلم الرسالة الا بعد من اعلاننا اغلاق باب النقاش فى الموضوع بعد ان استوفى من جميع جوانبه وانحصر فى اسماء بذاتها على أمل ان اتلقى مساهمتكم فى مجالات اخرى فى وقت قريب ..

والله يرعاكم ....

رئيس التحرير

أحمد محمد محمود

المركز الرئيسي: جدة طريق مكة حارة الجريسي - برقيا: (المدينة - جدة) تلكس ٤٠١٣٥٦ TELEX:401366 MADINA SJ تليفون: ٦٨٠٢٤٤ (٣ خطوط) ص ب ٨٠٧ جدة

ولابـد أن للـصـحـيفة عذرها ووجهة نظرها المنطلقة مـن موارد نبيله ومصادر سامية، لكن بما أني أحس أن للقـارىء المـطلع على وجهتي النظر الحق في اكتمال وشمـولـية الاطلاع على كل ناحية لها مساس بالموضوع لـكـي يكون حكمه كقاضٍ واستنتاجه كباحث، مبنيّين عـلـى الـتـكـامـل، ومـسبـوقين باحتواء لكل المنطلقات والمبـررات والمـسوغـات، مما يجعل إمكانية واحتمالات قرب الحكم من الصواب بعد الاستيعاب أثبت وأقوى، فـقـد حـرصـت عـلـى نشر وجهة نظرى اقتفاء لأثر نشر وجـهـات الـنظر الأخرى مادام رائد الجميع توفير المعرفة والاسـتـقـاء من مـصـادرهـا، وحـيـنـذاك سـنجد إلتقاء المخـتـلـفين فـي الـرأي أقـرب إلى التحقيق منه فيما لو لم يُـجْـر الحـوار وتُـبـيّـن وجـهات النظر. و يُجلى الغموض واللبس وتذبذب المفاهيم.

وسـيـلاحـظ الـقـارىء ــ نـفعنى الله بآرائه ــ أنني أخـرج عـن الموضوع أحياناً عندما يمر بي مايدعوني إلى الخـروج قـلـيـلاً ثم العودة إلى الموضوع، ولعل ذلك يبرر فلا يمسى مأخذا.

هل من أهمية للموضوع؟ :

إننا نستهين ـــ أو بعضنا ـــ بأمر المولد، و يعده البعض مشكلة محدودة ليست ظاهرة ولاشاملة، ومن إضاعة الوقت الاهتمام بها.

لكن الواقع يقول إن مسألة المولد مشكلة ظاهرة منتشرة في كثير من المجتمعات الإسلامية، وقد تسرى سريان النار في الهشيم ـــ إن أهملت، وهى ذات تأثير بالغ في توجيه المجتمع، وتطبيع طباعه وأخلاقه واهتماماته ونظرته للأمور، تلك النظرة التي إن أصابت حققت الفلاح والنجاح والفوز والنصر، وإن أخطأت فعلى يدها الهلاك والدمار والهزيمة.

وليس من الحكمة ترك المشكلة بلا علاج حتى تستفحل، ولنسأل عن ذلك ـــ مع العلماء ـــ الأطباء أيضاً.

و «لا تحقرن من الأشياء أصغرها» هذا على اعتبار مجاراة من قد يرى أنها من صغائر الأمور.

ومن المشكلات مالا يعالج، أو يصعب علاجه إذا استشرى.

وإن للموضوع أهميته الاكيدة في منهج المجتمع الإسلامي وتوجيه مسار تفكيره، وإن له لأهمية بالغة في المسلك التربوي الذي سيسير عليه؛ وتهيئة الفكْرِ لها دور فعال في تحديد المسلك التربوي والتعليمي والأخلاقي، ومن يتعلم ولاخلق له كمن يأكل القشر و يترك اللب، يقول حافظ إبراهيم رحمه الله:

وارفعوا دولتي على العلم والأخلا(م)
ق فالعلم وحده ليس يجدي

ومن الخلق الكريم أن نُربي الأجيال على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وأتباعه، وعلى تعاليمه، واتباع نهجه لنحصل بإذن الله على سعادة الدارين.

دخل هذا الكتاب :

أنـه ليخجلني أن أتحدث عن دخل الكتاب، وأفرد له عـنـواناً جانبياً، لكني تأثرت بأمور دفعتني وشجعتني عـلـى ذلك رغم أن الكتاب لن يكون له دخل يستحق الذكر، فليس فيه إثراء ولاجزيل عطاء والتبرع به تبرع بقلة لا تذكر، ومن تلك الأمور:

١ ــأنـي عـرضـت فـي يـوم ما على أمريكي فكرة أن يحضر عـرض «فيلم» «الرسالة» وتحدثت معه عن مـوضـوعـه، فـكـان أول سـؤال وجـهـه لـي : لمـن دخـلـه؟. وهـو يـعـلـم أن دخـول صـالـة عـرض «الـفـيلم» لن يكلفه إلاّ مبلغاً زهيداً تافهاً، ولكن سـؤالـه عـلـمني: أن القليل مع القليل كثير، فقلت في نفسي ليت مدخني السجائر يعلمون أو يسمعون مـاتـقـول بوعي حيث هم يدعمون يومياً لا مرّة في الـعـمـر ــ من يصنعون السجائر لإمراضهم وقتلهم بهـا بدعم اقتصادي عظيم الأثر، بعيد المدى. وهذا الـصـلـيـبـي يخشـى أن يـكـون دخـل «الـفـيـلم» لجمعيات إسلامية!

٢ ــأعجب من فتيان وفتيات يذهبون من مواطن الحضارة والرفاه إلى أدغال التخلف والأمراض في آسيا وأفريقيا وغيرهما من أجل التبشير بالنصرانية وخاصة في بلاد المسلمين مثل أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان أندونيسيا، أفلا يجب علينا أن نفعل أكثر مما فعلوا مادمنا مع الحق ومطالبين بالجهاد.

ومع ذلك فلنبدأ ولو باليسير، وهو الاسهام والتبرع بدخل الكتاب أو طباعته على النفقة الخاصة، أو بالتبرع بما تجود به النفس حسب قوة إيمانها وبعدها عن الشح الذي لايجتمع مع الإيمان مادمنا في الزمن الذي يغلب عليه أضعفه إن وجد!

ومن أراد التعرف على مايجرى من التبشير الصليبي في اندونيسيا فيمكنه قراءة كتاب «غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا» تأليف ابو هلال الاندونيسي، نشر دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ص ب ٤١٤٦؛ وماراءٍ كمن سمعا.

٣ ــالتبرع بالدخل المحدود جداً لهذا الكتاب إنما هو

دعوة لاخوتنا الكبار بفعل ذلك في بعض كتبهم، وخاصة أن دخلها يستحق الاهتمام، وله فعالية وقيمة وأهمية، ولو بعض الدخل، ودعوة لأهل الخير بطبع هذا الكتاب وغيره من الكتب التي يسمح اصحابها للآخرين بطبعها **أي أن حقوق الطبع لعمل خيري غير محفوظة** سواء طبعت وقفاً لله أو ــ وهو ما أفضله ــ طبعت و بيعت بثمن زهيد جميعه متبرع به للجماعات أو المدارس الإسلاميه في آسيا كأندونيسيا أو افريقيا أو غيرهما من البلاد الإسلامية أو للأقليات الإسلامية، وذلك عن طريق دار الإفتاء، أو رابطة العالم الإسلامي أو غيرهما ممن يعملون في مجال الدعوة أثابهم الله سبحانه، وقوى عزائمهم وجعل نصب أعينهم دائماً ضخامة المسئولية، وعظم أمانة الثغر الذي هم عليه.

ولئن تحقق للكتاب طبعةٌ وقفٍ لله للتوزيع المجاني ليحصل عليه من لايشترون الكتب، وطبعة أخرى بثمن زهيد لمن لاتصل اليهم كتب الوقف، أو لا يصلون هم إليها، و يصرف الثمن لصالح الدعوة الإسلامية، ورفع

مستوى الأسرة المسلمة الفقيرة، وتحسين حال اقتصادها وتعليمها وثقافتها ووعيها.

ويتيح فرصة للقارىء الموسر أن يشتري عديد النسخ، ويهدي منها وهو يعلم أنه يخدم فكرة الكتاب. ويخدم ويشارك بالتبرع لتحسين أحوال المسلمين ورفع شأنهم بقدر المستطاع، ففي ذلك إرضاء لمن رضاه سبحانه غاية المنى، ومنتهى الآمال. ليس لهذا الكتاب الصغير فقط، وإنما لعديد الكتب النيرة ذات الأهمية الكبرى، والمحتويات المفيدة، ومابعد التنظير إلا التطبيق ولاقيمة لقول بلا عمل.

لذا أتبرع بنصيبي من دخل هذا الكتيب عن طريق دار الافتاء ـ إن استحسنت الأسلوب ـ للجماعات والمدارس الإسلامية في أندونيسيا، وإن حال دون ذلك حائل مما لم يكن في الحسبان، فليكن لأي مكان يحتاج إلى مدارس إسلامية لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه ولغته العربية لكل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو يؤمل أن يقولها إذا هدى بإذن الله إليها.

فكرة المولد

قرأت ماوفقني الله لقراءته من كتابات شتى، وآراء متفاوتة عن الاحتفال بمولد خاتم الأنبياء والمرسلين، وخير المخلوقين محمد الصادق الأمين صلّى الله عليه وسلّم، ومن الكتابات ماجاء في صورة حوار يستجلى الغموض، و يبين الرأي والأدلة في مواطن الاختلاف، و يقرع الحجة بالحجة، ويجعل الموازين في يدي القارىء المفكر المقارن المستنبط.

والنقاش الموضح لوجهة نظر المؤيدين، واعتراض المعترضين له فوائده لأنه يزيل اللبس، و يوضح الأدلة، ومدى صوابها. و يرشد العامة، و يبين للناس المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلاّ هالك، وفي التبيين إقتداء برسالة الرسل والأنبياء.

ومادام الموضوع ذا وجود مؤثر في بعض المجتمعات،

وله تحرك وامتداد. وأنه يطرح للنقاش أمام أبصار وبصائر الخاصة والعامة فيحسن الآيتخلف عن الاسهام فيه كقضية دينية وفكرية واجتماعية وتربوية كل عالم يعلم أن السكوت غن تبيان الحق موصوف بصفات يهرب منها المسلم المؤمن.

والمهم أن نقرأ أو نسمع حوار الرأي والرأي الآخر في صور ابحاث علمية موضوعية تحرص على أن تبين لنا بالتحديد الممكن مواصفات المسلم كما هى في القرآن الحكيم، والسنة الصحيحة.

وبذلك لا يتوه الناس أو بعضهم في متاهات كتب تعتمد على مراجع غير موثوقه أو مشبوهة أو مرجوحة. ثم تصبح تلك الكتب مراجع يستند إليها في إيراد الأدلة بينما هى واهية اعتمدت على واهى المراجع والأقوال.

ولربما أكون واحداً ممن يطرقون الموضوع وهم كالإسكافي الذي أبدى ملاحظة على رسم رسام فكانت حول طريقة رسم رباط الحذاء فشكره الرسام على ملاحظته وقدّر اختصاصه، ثم لاحظ ملاحظة

أخرى حول ربطة العنق، فقال له الرسام مامعناه: ذلك ليس فنك ولا اختصاصك لذلك أخطأت ملاحظتك في هذه المرة.

ولذا فالمختصون هم المطالبون أكثر بإبداء الرأي وإنارة السبيل في كل بلد إسلامي، أو به أقليات مسلمة أو أكثريات أشبه بالأقليات، أو من يرغبون في التعرف على الإسلام مبادئه وصواه وأهدافه.

ولاخوف على الحق فهو يدمغ الباطل سواء جاء عفوياً عن ضلال فكر، وانحراف تفكير أو كان وراءه ماوراءه من قوى الشر، وخطط الأعداء التي قد يسهم فيها البعض عالماً بها،أي عن سبق إصرار وتصميم وقصد وإظهار خلاف الباطن، وانتقاء الكلمات والحجج التي لها رواج، وقد يسهم فيها آخرون عن حسن نية أي أنهم أُضِلّوا فضلّوا وأَضَلّوا. ومنهم من ينشد الحقيقة ويسعى إلى الخير فهو وإن ضل الطريق إلاّ أنه يبحث ويستفسر ويقلب بصره يمنة ويسرة وشمالاً وجنوباً، فان رأي علامات الطريق المستقيم غير مجرى سيره، وسرّ بفضل الله عليه في الالتقاء بالنهج القويم. وعسى الله أن يهدي الجميع. ويغفر ذنوبهم.

والفكرة ومستنداتها إذا ضعفت أضعفت المنطق والتبرير وربما أضعفت التعبير مهما كانت قدرة صاحبها إذا قيض الله لها لسان صدق وحق يقرع الحجة بحجة أقوى وأرجح وأولى.

والمولد النبوي الشريف يمكن الوصول إلى حكمه من توجيهات القرآن الحكيم الذي لايأتيه الباطل، وفيه أن الدين كَمُل بإذن الله، ومن إرشاد الحديث النبوي السليم فلنحاول استعراض مايمكن أن تسعف به الذاكرة، أو تورده الملاحظة مما يجعلنا نصل إلى ظل الهدى والحقيقة مبتعدين عن حميم الضلال والغواية إن شاء الله.

● قال من لامعقب لكلماته جلّ شأنه ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ ٣١ آل عمران ﴿**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ ٥٣ آل عمران، ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلٰغ المبين**﴾ ٩٢ المائدة.

هذه الآيات البينات التي جاء بها محمد صلىٰ الله عليه وسلم بنفسه من ربه وخالقه ومعبوده سبحانه وتعالى في علاه، ونشرها بإذنه ليتبعها أتباعه من محبيه والمخلصين لما جاء به، إنما جاءت لتؤكد وتكرس القول باقتفاء الأثر والسير على نهج محمد صلىٰ الله عليه وسلم قولاً وعملاً وتقريراً.

فالآية الأولى ــ مثلاً ــ تقول لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم مامؤداه ومعناه قل يامحمد للناس يامن تحبون الله خالقكم وخالقي، ورازقكم ورازقي، ومن مآبي ومآبكم إليه، إن الأفضل لكم والأنجى يوضحه الله لكم في جواب الشرط وهو «اتبعوني» أي اعملوا ما أعمل، وقولوا ما أقول، وأقروا ما أقر واجتنبوا ما أجتنب، ولم يقل امدحوني وأقيموا لي الموالد والاحتفالات التي إن سلمت من شوائب الفسق ومواقف الدجل، لم تسلم من المخالفة فيما هو أهم وهي العقيدة التي لها حدود محدده، والاتباع هو الذي يشرح لفظه معناه، ولاغبار ولاهجس ولالبس.

ولو كان الاحتفال بالمولد مشروعاً أو مقبولاً لكان

بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يوجه إليه و يشرّعه، وأن يقول به كما قال «صلوا عليّ» لكن الجواب جاء في الآية محدداً لصفة محددة، أي اقتفاء الأثر ممن أحبّ الله دون تقصير أوزيادة وغلو، و بعد الشرط وجواب الشرط يأتي الجزاء وهو المطلوب المنشود، وغاية المنى، والهدف المقصود «يحببكم الله» وماذا أفضل من هذا النجاح بامتياز، وماذا أعظم من الحصول على محبة الله، وماتنطوي عليه وماتثمره، وهل من أمنية أو محبة تفضلها؟! أليس ذلك أكبر الآمال، وأغلى الأمنيات، ومصب كل المقاصد؟! أو ليس هذا هدف من يدعون للاحتفال بالمولد النبوي الشريف ممن حسنت نياتهم وإن لم توفق، إذاً لهؤلاء تقول الآية الكريمة بكل صراحة ووضوح لالبس فيها ولا تأويل إن محبة الله رب الرسل والأنبياء وغيرهم يحصل عليها وتتحقق بالاتباع، وهو التزام وامتثال ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم واجتناب مانهى عنه، مما بلّغ به كاملاً دون تقصير.

ومما نهى عنه صلى الله عليه وسلم أن يمدح وهي الصفة التي قامت عليها فكرة المولد تشبها، فلمن قال له

صلى الله عليه وسلم: أنت سيدنا وابن سيدنا قال عليه الصلاة والسلام مامعناه: لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله، والسيد هو الله، فهل أوضح من هذا وهل يحتاج الدليل الى دليل! أو هل يحتاج النهار إلى دليل؟!

وبالمناسبة لَيت من يستعملون كلمة السيد المأخوذة من استعمال الغربيين كلمتي «سير» أو «مستر» ليت هؤلاء يستبدلونها بكلمة الأخ، وبدلاً من «سيداتي آنساتي سادتي» أو «أيها السادة والسيدات» تحل عبارة «أيها الإخوة والأخوات» وهل أجمل وألطف وألصق بالقلب من الأُخُوّة ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾.

ولقد قال نبي الهدى صلى الله عليه وسلم «إذا جاءكم المداحون فاحثوا في وجوههم التراب»؛ وماذا أرقى من هذه المثالية في القيم والسلوك.

وهذا وإن بدا أنه يعني من يأتي الإنسان الحيّ ليمتدحه وقد امتهن المدح لكنه عموماً يعكس نظرة الإسلام ورسول الإسلام إلى مواقف المديح عامة، وجلساته التي يحسن أن تتحول إلى عمل واتباع وقيام

بالواجبات المهملة بدلاً من القيام بما يظن أنه مستحب مع تضييع كثير من الفرائض أو النوافل والمستحسنات أو الاحتفاء بالعبد بدلاً من المعبود.

فهل قمنا بكل تعاليم الإسلام كبيرها وصغيرها وبقى لدينا متسع من الوقت والرغبة لنبحث عن «بدعة حسنة» لنقوم بها كعمل إضافي؟!

فهل نغص بالماء ونجرع البعير؟ كما يقول المثل، وهل نقرأ الهوامش ونترك المتون؟! إن الحق أبلج والله الهادي سبحانه الموفق إلى التروي، ومحاسبة النفس والفكر.

● وقد يقول المبتدع متسائلاً : ماهو النص الصريح في تحريم الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم؟ ـ واسمّيه المبتدع لأنه سمى نفسه المبتدع بدعة حسنة كما يعتقد ـ

فيقول المتبع: هل في العبادات المبتدعة، وهى التي لم يرد تشريع فيها، وهى لايمكن تصورها وحصرها لأنها غير محددة أو معدودة مايدعو إلى ضرورة حصرها

وذكرها والنص عليها؟ وهل من جدوى وراء ذلك لو أمكن الحصر أو بعضه؟ أليس إضاعة وقت وجهد يعوض عنه قول مالم يشرّع من العبادات فهو مبتدع؟ هل من الضروري أن يرد نص صريح بتحريم مايُتَصوّر ومالم يُتَصوّر؟! أوْ لايصبح محرما؟! أليس في هذا طلب مستحيل؟! وليس على الله بمستصعب لو رأى جل جلاله فيه نفعاً لكن الطبيعي والمنطقي أن يأتي المبتدع في العبادة بدليل أو أدلة مؤكدة تثبت المشروعية سواء بالوجوب أو الندب أو على الأقل الإباحة.

وقد يقول المبتدع : إننا لا نعتقد أن الاحتفال بالمولد أمر واجب ولا نعتبره عيداً، وإنما هو عندنا مجلس ذكر لانكتفي به عن الذكر في بقية الأيام، بل ننبه فيه كما سائر الأيام إلى شمائله وسيرته العطره صلى الله عليه وسلم.

فيقول المتبع : لقد أسميته احتفالاً؛ وهو احتفال بالفعل لمناسبة محددة في موعد معين يتجمع فيه الناس ويستعدون له من قبل، وتقام فيه الولائم والموائد، وتختلف طباع وعادات الناس فيه مابين اقتصار على

بدعة الفعل فقط،وبين تعزيز البدعة الأولى بإضافة بدع أخرى تضاف إلى تلك البدعة في تلك الليلة و يومها وأحياناً ــ وهو منتهى التناقض المثير للشك في المنطلق والهدف وان خدع العامة ــ يصحبها مفاسد خُلُقية ومخالفات دينية، وعثرات عقائدية تصل حد الغلو في محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ونسيان خالق محمد سبحانه وجل شأنه، أو ذكره جل وعلا من أجل ذكر محمد، أو جعله في المركز الثاني من الذكر بتقديم العبد العابد على المعبود، واعتباره الموضوع الرئيسي، وجل الله سبحانه عن التشبيه، هل من الطبيعي وسلامة المنطق وحسن التصرف أن يرحب بالوزير و يأتي الترحيب بالرئيس أو الملك ثانوياً في حضورهما؟! ثم هل حديث «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» لايدخل فيه إلاّ الأمور الواجبة أو الأعياد؟! الا تدخل فيه أيضاً الأمور الدينية المستحبة أو المباحة في نظر البعض، وهى إحداث في أمر المسلمين بما ليس منه، ولم يرد فيه من المنابع كمصادرٍ قرآنٌ أو حديثٌ، أو يأت به فقهٌ أو تاريخ.

وأما قول «لانكتفي به عن الذكر في بقية الأيام» فلماذا إذاً يكون ذكراً وتذكيراً منفرداً بصفة مخالفة، ولها تاريخ سنوي سواء كان يوماً أو اسبوعاً أو شهراً له مايتميز به عن سائر الأيام أو الأسابيع أو الأشهر، وما دامت الأيام الأخرى عامرة بالذكر فضلاً عن اقتفاء الأثر بالعمل الإسلامي الصادق أي مايحقق مقولة الأثر الكريم «رهبان بالليل فرسان بالنهار» فلماذا الحرص على هذا اليوم أو الشهر ما داما كسائر الأيام والشهور؟! ولماذا لانوقظ أنفسنا ومعنا من هم في غفلة في سائر الأيام، فلا نكتفي بيوم واحد فقط كما يفعل البعض وقد زُيِّن له عمله، وظن أنه أدرك الصواب؟!

إن من أراد أن يسن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فعليه أن يجمع بين تصوُّر الفكرة النظرية، ومزالق التطبيق، وخطورة عدم الاحتراز في ألاّ يتحول الأجر إلى إثم مضاعف إلى يوم القيامة، وقد لايلام المخطىء إذا اجتهد وقلّب وجوه الأمر واحتسب.

ثم إذا خصصنا أو بعضنا خصص يوماً وأدينا فيه

عملاً شعرنا في نهايته بأننا قد بذلنا أقصى حد من الجهد بالنفس والنفيس،وأدينا الواجب في هذا العام، وإلى اللقاء في مثل هذا اليوم من العام القادم!! لنجدد أداء الواجب الذي لايوجد له مثيل في سائر الأيام، والذي اختص به هذا اليوم فقط فإننا بذلك سنشعر بالتكفير، وربما لا نتهيب من المعاصي اعتماداً على يوم التكفير المتميز الذي لنا فيه رصيد وننوي تكوين رصيد مثله إن لحقنا يوم التكفير الآتي، يوم المولد القادم!!

وهذا إن لم يشعر به كل أهل الموالد فسيكون منهم من يشعر به، وحتى لو لم يوجد من يشعر بهذا الشعور افتراضاً فإن بطلان الدليل أو التعليل لايدل على بطلان مااستدل به عليه، وخاصة مع وجود أدلة وتعليلات أخرى، على أنه لايغيب عن البال أن سد الذرائع حكمة في مواقعه خاصة إذا كثرت الفتن، وضعف المسلمون، وحوربوا من مختلف المواقع، وغزاهم الفكر المعادي بألاعيبه وأحابيله، والذكرى تنفع المؤمنين.

أمـا إذا اسـتـدل المبتدع بجمع القرآن على أنه بدعة حسـنـة فـالـرد عليه من المتبع هو أن عملية جمع القرآن عـمـلـيـة إدار يـة فنية مكتبية، المصلحة المرسلة تقتضيه، ولـذا لم يعترض عليه معترض ممن يستفتون قلوبهم فيما لم يـرد فـيـه نص في المصدر ين الأساسيين للتشر يع، وهو يـتـمـشى مع فكرة حفظ الذكر المنزل بإذن الله، وليس من خـوف مـن جمع الـقـرآن عـلـى اسـتـقـامـة العقيدة وسـلامتهـا، ولـيـس فـيـه تـقـلـيـد للنصارى في كيفية إيمـانهـم، وأداء طـقـوسـهـم، وتحـديـد مواعيدها، وتسمية مـنـاسباتها، ونظرتهم لمكانة الرب سبحانه، ومكانة رسله المبعوثين.

ولـقـد جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين الـذيـن قـال فيهـم نـبـي الهـدى صلى الله عـليه وسلم «عـلـيـكـم بـسـنـتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بـعـدي» و بـعـض العلماء يعتبر مايحصل في عهد الخلفاء الـراشـديـن منهـم تشر يعاً وفقاً لهذا الحديث. وقد كُتب القرآن المجيد في عهده صلى الله عليه وسلّم أيضاً، فهل الـعـقـل يـقـول: خوفاً من البدعة يجب أن تستمر كتابة

القرآن بنفس الطريقة التي كانت عليها في عهده صلى الله عليه وسلم؟!! وهل العقل يقول لنا: لا تستعملوا وسائل الطباعة الحديثة رغم أنها لا تغيّر مقدار ذرة أو أقل أو أكثر في منطوق القرآن الحكيم ومفهومه؟!

إن جمع القرآن وكتابته لهما مبررات منطقية مقبولة معقوله تتمشى مع فكرة صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، فجمع القرآن وكتابته هما السبيل الى حفظه ونشره بإذن ربه سبحانه بعد أن انشغل الناس، وصرفتهم الصوارف، وقلّ الحفّاظ والعلماء، وكثر الخطباء، وتكالب الأعداء. ولا يخشى من عملية جمع القرآن الحكيم مكتوباً بأي أثر على العقيدة بل إن في ذلك نشراً للعقيدة الصافية السليمة، وتبليغاً بها، خلافاً للاحتفال بالمولد الذي لَمَسْتُ الحقيقة المرّة كثرة البدع فيه، وعجز العلماء ــ رغم بذلهم الجهد ــ عن محاربتها في أنحاء المعمورة، لأن وسائل اعلامهم ودعوتهم محدودة، ولأن أهل البدع يدافعون عنها بأدلة ضعيفة أصدرها سابقاً من أصدروا مثلها لاحقاً، وأصدر من بعدهم مثلهم كتباً تستند الى مراجع كتلك السابقة ثم

أصبح السابق واللاحق مصادر ومراجع توهم بالتوثيق والاستناد إلى أدلة وإلى آراء علماء، وكتب عقيدة، رغم أن حظهم وحظها من الصواب متعثر لأنها تخالف المنابع الأصيلة والمبادىء القويمة في الكتاب والسنة وما عليه الخلفاء الراشدون،ومن تبعهم بإحسان.

وللأسباب الآنفة الذكر وربما لأسباب أخرى تجد البدع من الدهماء من يتلقاها و يتقبلها، ومن وسائل اعلام أعداء الإسلام من يروج لها و ينشرها لاحبّاً في الإسلام، وإنما تقو يضاً لصواب مسلكه، وإشاعة لما يخالف تعاليمه، و يناقض تشر يعاته.

والبدعة قد تولدّ البدع، ومنها وقوف بعض الناس أثناء الاحتفال بالمولد احتراماً لمقدم وحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مدعين أنه يدخل عليهم في تلك الليلة، وأنه يدخل على كل من يقيمون الموالد من الصين إلى المغرب إلى أمر يكا شرقاً وغر باً، شمالاً وجنو باً!! وهذا مثل مايسمى عشاء أو غداء الشهداء رضوان الله عليهم، حيث توضع الموائد وعليها صنوف الطعام،وتصحب المسألة بدعاً مزدوجة.

وهكذا تأتي البدع وتتوالد، وتكبر، وتعظم حتى تفسد العقيدة، وتصرف عن صفائها، وتخرج عن الدين ولو بعد حين، ولربما بدون إحساس بذلك نتيجة للتدرج في التقهقر والتخلف البطيء الذي لايلفت النظر لأول وهلة.

ومن كان اسمه عبد الله أو عبد العزيز أو عبد الخالق او عبد الرازق صار أحفاده يسمّون عبد الإمام، وعبد الحسين وعبد النبي! بدلاً من عبد رب النبي، وصرفت العبودية للمخلوق وكثرت الاستغاثة والاستعانة بالأموات في الأوساط الأمية الجاهلة.

قال تعالى ﴿**ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذْ أنتم مسلمون**﴾ ٨٠ آل عمران فالعبودية صُرفت لغير الله وَان جاءت عن غير قصد بذلك، مع أنّ الأولى صرفها للأحق بها.

وقال جلّ من قائل ﴿**قل أرءيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السمٰوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو**

أثٰرة من علم إن كنتم صٰدقين(٤) ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيٰمه وهم عن دعائهم غافلون﴾ ٥ الأحقاف.

والتراويح يقال عنها مايقال عن جمع القرآن وكثير من الأمور التي لاخطر منها على العقيدة، ولها مستند من السنة المطهرة، ولاتخرج عن نطاق أوامر الله سبحانه، وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، ونهج خلفائه الراشدين رضى الله عنهم، وليس فيها صرف للاتجاه عن الخالق جلّ وعلا إلى المخلوق مهما علا شأنه.

وأما قضية اختلاف الكتابة والنقط والتشكيل دون تغيير في اللفظ والمعنى والتقسيم إلى أجزاء فتلك ـــ إن كانت قضية ـــ فهى قضية تنظيمية وليست عقائدية، فلنراجع نفوسنا، ولنستفت قلوبنا هل تغيير حرف «السين» مثلاً من «س» بسنن إلى «ﺳ» بدون سنن «نبرات» قد يعتبر بدعة، أو يستدل بجوازه على جواز إقامة مولد للرسول صلىٰ الله عليه وسلم في ليلة من السنة تُخصّ بما لايجرى فيما سواها من الليالي والأيام

مثلما يفعل النصارى بمولد عيسى عليه السلام وإن اختلف الطابع والأسلوب لكن توحدت الفكرة أو أخذها أحدهما من الآخر!!

والمولد احتفال لم يرد في الإسلام له مثيل لاقولاً ولا عملاً ولا تقريراً. والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم الدهر كله، وترْك الزواج، وقيام الليل بكامله كل ليلة، ولم يعتبر ذلك سنة ولابدعة حسنة رغم أن قصد من ارادوا ذلك حسن وتعبّدى وصادر عن زهد وصدق، بل اعتبر صلى الله عليه وسلم ذلك رغبة عن سُنّته وانصرافاً عنها.

والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الأسوة لم يعهد عنه لابرأى راجح ولا مرجوح، ولا بتواتُر خبرٍ ولابآحاده. أنه احتفل بمولد أحد سابقيه من الأنبياء، ولا بأبيه المخلوق آدم عليهما السلام، ولا بوالديه أو أحدهما، ولا بمن مات مسلماً قبله مثل عمه حمزه وزوجته خديجة رضى الله عنهما.

وحين توفى صلى الله عليه وسلم كان بين أحب الناس إليه، وخير الأجيال، وهو أحب الناس إليهم.

وهم يحبونه أكثر ممن سواهم ومع ذلك لم يقيموا له أربعينية، ولم يحتفلوا بذكرى ولادته لتخليد ذكراه مع أنه لم يغب ولن يغيب عن بال أحدهم أو بعضهم أو بالهم جميعاً التفكير في ذلك عند موته أو بعد مرور أيام أو عام على موته، وكل مافعلوه هو الصدق والاخلاص في اتباعه واقتفاء أثره، وأحبهم إليه أكثرهم إتباعاً له.

وهذا مافعل أبو بكر رضى الله عنه في حروب الردة وغيرها، وفي كل أمر من أموره، وعلى نفس النهج سار عمر رضى الله عنه، وعلى عين المسار كان عثمان وعلي والسلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين.

ومن العجب وعجيب العجب أن من الناس من يستدل بأحاديث وحادثة محبة الله ورسوله ومحبة النفس والوالد والولد، وما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عمر رضى الله عنه في الموضوع فلما خلص عمر رضى الله عنه إلى التعبير الصادق بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ومن كل مخلوق قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: الآن ياعمر، أو ما معناه، أي الآن آمنت، إشارة إلى

الأحاديث التي منها: «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» وحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» «متفق عليه [٦] ص ٢٥٣».

والعجب هنا ناجم عن الاستدلال بهذا على مشروعية او استحسان المولد النبوي إذ في الدليل حث على محبة رسول الله! والمولد النبوي تعبير عن محبة رسول الله! هكذا تُعتسف الأدلة البعيدة أو المنصرمة. وإلاّ فالحقيقة أن الأحاديث والحادثة إن أريد الاستدلال بها فهما دليلان على أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون بالموالد وانها حصلت إلى حد الحصول على شهادة بها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاته لعمر رضى الله عنه، مع أن عمر لم يعهد عنه أنه أقام مولداً لرسول الله، ولم يأسف أنه لم يقمه، وهو المحب لمحمد. إذاً فالعجب يأتي من الاستشهاد بدليل مضاد ليقوى فكرة يعارضها.

ومعارضو إقامة الموالد والاحتفال بها هم السلفيون الأتباع من كل المذاهب، ولايمكن أن يقبل التطرف في الرأي فيهم بأنهم لايحبون رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو أنهم أقل محبة له من غيرهم بدليل أنهم الحريصون على اتباعه، والتمسك بسنته، ونهج خلفائه الراشدين وأصحابه الميامين رضى الله عنهم أجمعين، ولربما يكون أكثر معارضي الاحتفال بالمولد النبوي من الحنابلة، وكل المذاهب في أتْباعها معارضون، ومع ذلك فالحنابلة هم الذين يرون أن الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم في التشهد الأخير واجبة، وتبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً، وهذا هو المشهور من روايتين عن أحمد رحمه الله واختاره أكثر أصحابه، و يرى الشافعي رحمه الله أنها واجبة، ومن العلماء من يرى وجوبها لكنها تسقط مع السهو، وأما مالك وأبو حنيفة رحمهما الله فأنهما ير يانها سنة [١].

ولم يحتفل علي ولا عائشة ولا فاطمة ولا الحسن والحسين وأهل بيت النبي وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين بمولده، ولم يقيموا ذكرى لوفاته، ولا أربعينية له صلّى الله عليه وسلم.

إني أسأل كل أخ حسن النية يبحث عن الصواب، وضل سبيله أن يقيس و يقارن فكرة المولد الدينية التي جاءت بعد مئات السنين من قوله تعالى **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾**(٣) المائدة بفكرة أن يتبرع أحدهم لمشروع خيري بملايين الريالات فيقال له: هذه بدعة لأنه لاملايين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، أو لا ريالات فالنقد كان له مسمى آخر!!!

إن المرء ليرى اعتسافاً والتواء يفرضان على الأحوال أن تتشابه رغم الفارق الكبير، ورغم وهن التواؤم فيما لو قال بذلك قائل.

وفي مسألة التبرع لايرد إلى الذهن أول مايرد إلاّ أن التثبيط والتقويض هما منشأ الرأي الذي ورد.

إن ذلك يشبه تأويل من يضرب أمه ـــ والعياذ بالله ـــ بأنه يرى أن القرآن لم ينه عن ضربها، ولم يرد

به تحريم لذلك، وإنما نهى القرآن عن أن يقال لها أو للأب «أف» أو ينهرا فقط!!

أومن يعتقد في قوله تعالى ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ ٨٠ التوبة.

إنه حسب الظاهر لديه لوزاد الاستغفار ولو مرة واحدة، أو لو نقص حيث يخالف النقص ظاهر المنطوق وتحديده فإن احتمال المغفرة وارد، أي كأن السبب يكمن في تعيين العدد وفقاً للظاهر!!

أوْ من يعتقد أن من يعمل أقل من مثقال ذرة شراً أو خيراً أو أكثر من مثقال الذرة لن يره، وفقاً لظاهر الآية!!

وما أعجب هذا العقل الذي منحه الله لابن آدم، وخصه الله به إنه يجد لكل شيء مبرراً وحجة وتعليلاً، ولكنه أيضاً يستطيع باذن الله أن يقرع بالحجة، الحجة و يقابل البرهان بالبرهان، وأن يورد الدليل الأقوى أو الأضعف، وأن يميز بين الأدلة في مدى الرجحان، وقوة

البيان، فيقصى المعتسَف، و يأخذ بالأصوب الأعقل. إن كان لكليهما صلة بالعقل.

إن الاعتماد والاستناد على أوجه الشبه المتفقة اتفاقاً ضعيفاً أو محدوداً، دون نظر إلى اختلاف وجوه الشبه والفوارق والعلل والنتائج بتحديد وتبيان، وإنّ تعداد المحاسن، ونسيان المساوىء أو تجاهلها أمور لا تتفق مع المنطق المعقول، والدقة، وسلامة إيراد الحجج والبراهين التي يراد إثباتها، وليس في ذلك موضوعية علمية، وحيادية فقهية، تعتمد ــ بعد الله و بإذنه ــ على المصادر المعتبرة سواء صارت مع أو ضد ما نود البحث عن أدلة له.

والعموميات التي قد تخص جزئيات معينة كالذكر لايمكن الاستدلال بها على مالا يستدل بها عليه نصاً أو معنى، ولا تعتبر أدلة على جزئيات لا تعنيها بنص أو بمناسبة. والمقيد أقوى من المطلق كما هو معروف.

ومما عنيت استدلالات واهنة واهية لإثبات شرعية المولد النبوي وردت في جريدة السياسة العدد ٤٨٧٠ في ١٤٠٢/٣/٢٣ حيث يفهم مما كتبه الكاتب ورآه

في الحلقة السابقة اعتباره أن من كتب عن تاريخ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيد لإقامة مولد له!!.

أما درى ـ عفا الله عنا وعنه ـ أن كثيرين كتبوا عن سيرة محمد وحياته، ولكنهم لايقرون الإحتفال بمولده؟! ومن هذا القبيل كُتُباً المدرسية التي كتبت عن ولادته ونشأته وأسرته وصفاته وأعماله وجهاده ووفاته، ولكننا لم نفعل مالم يفعله هو، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الفقه والحديث والتفسير وغيرهم.

ولقد كتب أحد الاخوة ـ رحمنا الله وإياه ـ مقالات متوالية أو بالأصح متقاربة التواريخ عن مسألة المولد النبوي في صحيفة المدينة. ومن ضمنها العدد ٥٤١٩ في ١٤٠٢/٣/٢٣هـ، ومما أورده ربما ليقول إنه ليس كل محدث بدعة، أو ليقول يامن تعترضون على المولد النبوي كبدعة أنتم واقعون في بدع أخرى استدلاله بما نصه «بيوت العلماء المترفة التي بها غرف تفيض عن الحاجة، والتي لها معارج تفوق بها معارج

الفاتيكان، وفيها من الرياش الفاخرة والسجاد الأعجمي الثمين مايبهر الأنظار».

فأولاً : ليست كل بيوت العلماء مترفة، فكثيرون منهم اتبعوا قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» (٦) رواه أحمد ص ٣١٠.

ثانياً : لايصلح هذا القول للاستدلال به على أن المولد ليس بدعة، لأن هذه البيوت على صفتها المذكورة إن لم تكن بدعة فليس من اللازم الملازم لها الاّ يكون المولد بدعة.

وهل إن وافق المحاور على أن هذه البيوت بدعه يوافقه المحتج بها على أن المولد بدعة أيضاً؟! على اعتبار أن المستشهد بها يراها مماثلة لما يبحث عن دليل له. أم أن المستشهد لايراها بدعة، ولذلك لايرى المولد بدعة وهما متشابهان في نظره؟! وهل من تشابه بين أمور الحياة وأمور العبادات يوصلهما إلى التماثل والتطابق في الحكم؟!

إن كان يرى المستشهد بالبيوت الفاخرة أنها خطأ، فإن الخطأ لايبرر الخطأ؛ الخطأ يعالج ولايقاس عليه، فالقمار والربا مثلاً ــ حمى الله الجميع منهما ــ كلاهما قتل للمجتمع في نفسيته وإنسانيته واقتصاده وحياته وتماسكه وعزته، ولنفرض أن زيداً يرتكب أحدهما، وعمرواً يرتكب الآخر فقال زيد لعمرو: يا أخي لا ترابي، فالربا حرام، وهو من الموبقات الكبائر، والقرآن الحكيم يقول في تهديد صريح وإنذار معذور ــ إن جازت صفته بذلك ــ لايدع عذراً لمعتذر﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾ الخ ٢٧٨ سورة البقرة إعلان حرب صريح مشروط من قوة لا تغلب ولا تقهر.

فهل ياترى يكون عمرو على صواب إذا ردّ عليه بقوله: إنك يازيد تقامر، فإذاً أنا سأرابي، أم أن الصواب أن يقول عمرو: جزاك الله خيراً، معك حق، وبدوري أنصحك و((الدين النصيحة)) أن تقلع عن القمار، أما أنا فأقر بخطيئتي، وسأحاول الاقلاع عن الربا بإذن الله.

أي الجوابين أسلم ياترى في نظر كل من له نظر؟

وليس هدف المثال السالف الذكر تشبيه المولد وبيوت بعض العلماء بالربا والقمار، كلا، لكن وجه الشبه هنا يأتي في أمر واحد فقط محدد هو عدم صحة ربط الخطأ بالخطأ ليبرره، ولذلك فالاستشهاد بالبيوت خروج عن لب الموضوع.

إن التشريع لايكون بالوجوب فقط، بل قد يبدو في الاستحباب. والاحتفالات التي تقام في الدنيا لذكريات أو مناسبات أخرى لايقاس عليها المولد النبوي الشريف لأنها ليست دينية، ولأن محمداً صلىٰ الله عليه وسلم أكبر وأعظم ـ بعد الله ـ من أن يحتفل بمولده في يوم ما وكأنه امبراطور أو رئيس أو غيرهما، فمحمد صلىٰ الله عليه وسلم على ألسنتنا دائماً في القرآن والأذان والصلاة، وعند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وفي بقية الأوقات، وفي خطب الجمع والأعياد وغيرها، وفي كثير مما نقرأ ونسمع، قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»، وفي الحديث الشريف «من صلىٰ عليّ صلاة صلىٰ

الله عليه بها عشرا». «صلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني».

ولايمكن الاستدلال بهذا كما استدل به البعض من قبل من المرجوحة أقوالهم على مشروعية المولد بينما الدليل يفهم منه الاطلاق، وعدم القصر على حالة معينة بدليل عدم النص عليها، أو وقوع الدليل في مناخ تلك الحالة «الإقرار».

إن مثل من يستدل بمثل هذه الأدلة مثل من إذا صلى الفرائض والنوافل وسلم سجد بعدها مباشرة أى عقب كل صلاة، فقيل له: إن هذه السجدة التي تتمسك بها بدعة لم يفعلها الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا أتباعه باحسان، إسجد للسهو متى حصل، واسجد للشكر متى أردت في الأوقات المشروعة، لكن أن تلتزم بالسجود خلف كل صلاة فذلك مثل أن تزيد ركعة، وإن كانت ذكرا وعبادة، ومماثلة للركعات الاخرى المشروعة، لأنها زيادة عما فعل الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وشرعه بوحي من ربه بدقة محكمة لايمسها غلو ولا تقصير، فقال المبتدع:

إن أقرب مايكون العبد من ربه عندما يكون ساجداً، فقيل له: نعم لكن في الصلوات والسجدات المشروعة، مثلما أن الصوم مشروع لكن ليس صوم الدهر كله، وصلاة الليل لكن ليس الليل كله، وغيرهما مما تعتبر الزيادة فيه إلى حد مُخِل كالنقص المخل، وربما أشد وأسوأ، وكما يقول البعض «الزائد أخو الناقص».

ويقول الكاتب ــ غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين ــ في العدد ٥٤٢٧ من صحيفة المدينة الصادرة في ١٤٠٢/٤/١ «فلو سمينا الاحتفال بالمولد جدلاً عبادة» باعتباره ذكراً، والذكر من العبادات، فما الذي يمنع من أن نعتبره نوعاً من التنظيم لبعض أحوال هذه العبادة»؟ والجواب على هذا مايلي:

أولاً : هل الكاتب يخرج المولد عن كونه عبادة؟ فلذلك قال هنا «فلو» و «جدلاً» و «أن نعتبره نوعاً من التنظيم».

ثانياً : إذا لم يكن الهدف منه تعبديا وذكراً دينياً يتقرب به إلى الله فما الهدف منه إذاً؟ وماذا نعتبره؟! وهلاّ يكون تنظيم أحوال العبادة إلاّ

بـالاحتفال بالمولد؟! وهل من شك في انتظامها حسـب مـواعيدها وحسن تنظيمها الذي وردت به كاملة متكاملة؟!.

ثالثاً : إن ضعف الفكرة التي لا تستند على قوة دليل، و بيـان حـجـة، تـضـعـف الرأي حتى لدى من اشتهـر بقوة الرأي والكلمة، ولا لوم عليه إلاّ في اختـيـاره للـفـكـرة لأنهـا فـكـرة لن تسعفه، فمن يـنـاقـش عـلـى أن المـولـد عبادة، و يناقش تارة أخـرى عـلـى أنـه لـيـس عـبادة، ماذا يمكن أن نـسـتـنـتـجـه كرأي له واضح سوى أنه على أي حـال يـر يـد إقـرار مايريد على أي وجه كان، وهذا خلاف ماتعودته وتعوّد عليه الأقلام الجيده عندما تقوى فكرتها.

والـقـاعـدة المـفـهـومة من الإسلام، والتي يسير عليها ورثـة الأنـبـيـاء وقـد قيلت كقاعدة هى أن الأصل في الـعـبـادات الـتـوقـيـف «الحـرمـة» الاّما شرع أو أبيح، والأصل في غيرها الحل والإباحة الإما حُرِّم ونهى عنه.

ومن أمثلة سد الذرائع تحريم الصور، وخاصة ما اتفق على تحريمه منها لغرض فيها أو غرض يخشى منه، والذي يخشى منه هو أن يكون التصوير للمتعة والتسلية، ثم للذكرى، ثم للتفاؤل، ثم للبركة، ثم للتقديس، ثم للعبادة والاعتقادات الفاسدة الضالة، والصرف عن حسن الأفعال والإلهاء عنها. وهكذا تنمو المحظورات، ويجر بعضها بعضا، وتكون نهايتها أسوأ من بدايتها وقد يصعب الرجوع والاصلاح والتصويب.

وكذلك بقية الشبهات والبدع والمحرمات يخشى من واقعها ومما قد يلحق به فيتحول الخير المتوقع إلى شر ملموس، وخاصة مع وبعد التجربه، ويصبح نصيب مَنْ وراء ذلك «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» بدلاً من «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» خاصة إذا لم يحتط ويحترز ويقلب الأمور على وجوهها — كما سلف ذكره —.

ويقول مؤيد فكرة المولد النبوي «وقد استحسن ذلك الكثير من المسلمين في شتى أصقاع الدنيا منذ مئات السنين».

لكنها مئات السنين التي لا تصل إلى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ولاخلفائه الراشدين، ولا الصحابة والتابعين، ولا الأجيال القريبة من عهده.

والرد على هذا الرأي يأتي من القرآن المجيد ذاته الذي لامعقب له، ولا اعتراض عليه، فالله سبحانه يقول ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلاّ يخرصون**﴾ ١١٦ سورة الأنعام.

والآية لم تقصر الأكثرية على الكفار، فالكفار لن يطيعهم رسول الله بالطبع، و يقول تعالى ﴿**مافرطنا في الكتاب من شيء**﴾ ٨ سورة الأنعام؛ و يقول جل وعلا في عدد من الآيات البينات ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾ ٥٩ سورة النساء، ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ ١٥٣ سورة الأنعام، ﴿**ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء**﴾ ٨٩ سورة النحل ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ ٣ سورة المائدة،

﴿ليبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾
١٧٦ سورة النساء ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ
هداهم حتى يبين لهم مايتقون﴾ ١١٥ سورة التوبة،
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾ ٤٤
سورة النحل ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ ٤٣ سورة
فاطر، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ ٢٣ سورة الفتح،
﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ٨٠ سورة
النساء، ﴿قل ماكنت بدعاً من الرسل وما أدري
مايفعل بي ولا بكم إن أتبع إلاّ مايوحى إليّ وما
أنا إلاّ نذير مبين﴾ ٩ سورة الأحقاف، ﴿لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر﴾ ٢١ سورة الأحزاب، ﴿وما آتاكم
الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن
الله شديد العقاب﴾ ٧ سورة الحشر ﴿فلاوربك
لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ٦٥
سورة النساء.

ومن أحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم

«...وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» الخ. «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» الأربعون النووية، الحديث الخامس، «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلى لا أحج بعد حجتي هذه» ٥/٧٤ نيل الأوطار، «من رغب عن سنتي فليس منى» ١٢٠ بلوغ المرام، «إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه» ١/٦٠ الترغيب والترهيب، «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة. قلنا: من هى يارسول الله؟ قال: من كان **على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، تلاحظ عبارة «على مثل» وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطّاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلاّ عليه

شيطان يدعو اليه، ثم قرأ «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» رواه أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»، «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لماجئت به»، وقال أبو ذر رضى الله عنه: «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماطائر يحرك جناحيه في السماء إلاّ ذكر لنا منه علما»، وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه «والله ما مات رسول الله [صلى الله عليه وسلم] حتى ترك السبيل نهجا واضحا، وأحل الحلال، وحرم الحرام، ونكح، وطلق، وحارب، وسالم، وماكان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال يخبط بها العضاة بمخبطته ويمدد حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم» جامع العلوم ومجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن ص ١٨٥.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : قيل لسلمان: قد علمكم نبيكم [صلىٰ الله عليه وسلم] كل شيء حتى الخراء؟؟ قال سلمان: أجل «نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين، أو أن يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى برجيع أو عظم» ١/٢٤ الجامع الصحيح، ومجلة البحوث الإسلامية العدد الثامن ص ١٨٦. «من تمسك بسنتي بعد فساد أمتي فله أجر مئة شهيد» مجلة التربية الإسلامية العددان السابع والثامن، عام ١٤٠٤ ص ٣٩٤.

والله سبحانه الخبير العليم، الذي بين لنا الصغيرة والكبيرة، لم يأمرنا بالاحتفال أو بإحياء المولد، وما ذُكر أنه أمر من قبلنا بذلك، والرسول صلىٰ الله عليه وسلم لم يحي مولداً أو ذكرى لأبيه آدم عليه السلام، أو لأحد من الأنبياء والرسل، أو أقاربه أو أصحابه، ولم يفعل ذلك أهله في حياته أو من بعده ولا أصحابه وخلفاؤه، وهم أحب أحبائه، ولم يقروه لأنه لم يفعله غيرهم أيضاً، وكل الفرق من أمة محمد التي ستفترق إلى مايربو على السبعين فرقة كما تفرقت الأمم السابقة

ستكون في النار إلاّ واحدة هى التي على ماكان محمد وأصحابه عليه، فهل نترك الواقع والتصريح، ونأخذ بالتأويل غير المتفق عليه والتلميح؟!

ولاننسى «أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، ولذا فالكثرة لا يحتج بها ولا تدل على موطن الصواب في زمن غربته.

ويلاحظ أن بعض الاستدلالات لا تكون مع من استدل بها، بل قدتأتى مضادة لما استدل بها عليه، فالاستدلال بأن من فضل يوم الجمعة أنه «وُلد» فيه آدم عليه السلام ينبت التساؤل القائل: لماذا إذاً نهى رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن صيامه تطوعاً وحده؟ ولماذا لم يقل صلىٰ الله عليه وسلم إثْر إخباره أوفيما بعد: فأقيموا لأبيكم وأبى عيد ميلاد، أو عيد وجود، أو حفل ميلاد، أو حلقة ذكر بمناسبة الذكرى، نتدارس فيها نعم الله على خلقه، ونذكّر فيها العامة، وتكون سنة لمن بعدنا؟. كما يقول بما يشبه هذا بعض المتأخرين. وهل يمكن أن يجرؤ الشك على أن يوحى لنا بأن محمدا صليٰ الله عليه وسلم ذا الخلق العظيم

محبته لأبيه آدم عليه السلام قاصرة أو معدومة؟ ثم إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد صام يوم الاثنين وقال عنه «ذلك يوم ولدت فيه. وفيه أوحى إلىّ» فلماذا لانتبع نهج الرسول فيما فعل، فنصوم — وفقنا الله لذلك — أيام الاثنين وغيرها من الأيام المشروعة إحياء لسنته وامتثالاً لدعوته، واقتفاء لأثره، وأسلوب عمله، وندعو الناس لصوم يوم الاثنين محبة في طاعة الرسول، واقتداء بمسلكه لأن طاعته واتباعه من طاعة خالقه وخالقنا سبحانه؟ ودليل أصدق على محبته.

ولايمنع مانع أن نتذكر أن هذا اليوم الذي نصومه **اتِّباعاً** هو اليوم الذي ولد فيه صلوات الله وسلامه عليه، وفيه أوحى إليه.

والعمل الاسبوعي خير من العمل السنوي أي الذي لايتكرر ولايحدث في السنة إلاّ مرة، لكن دون أن نتجاوز مافعل الرسول أو قال أو أقر.

أم أن صوم يوم الاثنين صعب، وليس فيه مظهر الاحتفال والتجمع، والسمر، ودعوة المنشدين،

والمرددين، وجعل الظاهرة ظاهرة اجتماعية أكثر من كونها دينية، أو كما يفعل بعض الصوفية المتدروشين في الأناشيد، وأحوال أدائها وغيرها. أو بعض المقلدين في سلوكهم للكهنة ـ سواء لاحظوا ذلك أو لم يلاحظوه ـ **وهم أكثر مايظهرون في سنوات الظلام والتخلف، وغلبة الأعداء والانحطاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والتربوي.**

وإن من الناس من يرغبون الاحتفال بالمولد لأنه يوم واحد فقط في السنة، فيه الأكل والشرب والاجتماع والانشاد وشيء من الذكر وهو الاحتفال الذي أحياناً تدخله شبهات وفساد وتسلية أقلها كما رأيت في بعض البلدان خارج بلادنا ورق اللعب، والأرجيلة للكيف والاستمتاع، وتوزيع علب السجائر، وربما أكثر من ذلك من أمور بعضها يتنافى مع العقل والدين، رغم نزاهة البعض، وعدم إرادتهم له، وفي ذلك ما فيه من تعارض وتنافر بين المناسبة ومبادىء الإسلام، وبين مايجرى في تلك المناسبة التي أول أخطائها إحداثها باسم الدين والعبادة والذكر، خاصة

وأن الإسلام دين فكر رائع، ومبادىء قويمة، ومنهج بناء لايغلبه منطق، ولا يفضله منهج، وهو يخلو تماماً من الخرافات والتهويمات مثلما أنه يخلو من الشعوذة، والاحتيالات السيئة، والعبث بالإنسان وعقله استخفافاً به، وهو دين تقدمي صالح لكل زمان ومكان وشامل لمعالجة كل ماكان، ولايؤمن بدعاوى الجاهلية الضالة، وهو دين نيِّر لايتعارض مع العلم في حقائقه، بل يدعو إلى الأخذ به، وما يعارضه من نظريات علميه إما أننا لم نفهمه فظنناه معارضاً، أو أن العلم تبناه كنظرية لكنه سيكتشف فيما بعد بطلان تلك النظرية وخطأها، وهذا ما أثبتته الأيام، وصدّقه التاريخ.

وما إيلاج الخزعبلات والقشور في الدين لتكون شيئاً فشيئاً الفراش والكساء والغطاء في بعض الأحيان والأحوال إلاّ حيلة من حيل أعدائه المتربصين به، المتظاهرين بالبعد عن معاداته، لمحاولة تنفير عقول بعض شبابه منه، وتشجيع استهزائهم به تحقيراً واستهانة بما ليس منه وإنما نسب جهلاً أو خُبثاً إليه وهم يظنون أنه منه! **وهكذا فما لم يوجد به مايستحق انتقاده**

يسهل الدس عليه بإيجاد مايدعو إلى انتقاده، واطراح ارشاده والشك في حكمته.

لقد انصرف بعض الناس عما يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم مولده الاسبوعي ليعملوا مالم يعمله أو يقرّه في يوم مولده السنوي، ولايقر الصوم لأنه تعليلاً في يوم مولده، ولكن اتباعاً لسنته، وسيرا على جادته، لأن المحسوس الملموس أن محمدا المعلِّمَ صلى الله عليه وسلم يريد اتباعه لا الإحتفاء به.

ثم إن الاحتفال باليوم السنوي لمولده لايليق بمكانته، ــ كما ألمحت إلى ذلك من قبل ــ فهو أكبر شأناً، وأعلى مقاماً من القياصرة والأباطرة وغيرهم من البشر ممن ليس فضلهم بالتقوى، وهو أفضل الجميع. حتى أعياد الميلاد العادية ماهى إلاّ تقليد غير واعى ولا حضارى، ولو أن غيرنا يرفضها ونحن أهلها لوجدنا ممن يفعلونها الآن منا مقلدين من يقاومونها ويعارضونها تمشياً مع الرفض الخارجي!.

ولنتصور أن لزيدٍ من الناس ابنين أحدهما إذا غاب والده أياماً ورجع أقام له احتفالاً أو

احتفالات، ودعا الشعراء والمنشدين وأقام الولائم، ولكنه لايطيعه في كل الأمور أو في بعضها، أي أنه يطيعه في بعض الأمور التي لا اعتراض له عليها أو التي لايجد فيها مشقة، والإبن الآخر لايقيم له احتفالات لإحساسه بأن والده لايرغبها لكنه يطيع والده ويحترم كلمته، و يبحث عن رضاه، ويجتنب نواهيه، و يسير على النهج الذي يتمناه الأب لأسرته، و يُعجَب أبوه بعمله وخلقه الذي يفضل عمل أخيه، ومقدار طاعته له، فبالله أسأل ــ إن لم تجتمع كل المحاسن فيهما، فأيهما أفضل؟ الأول المحتفِل بلا طاعة، أم الثاني المطيع بلا احتفالات؟! هذا مع مجرد الافتراض بأن الاحتفال من المحاسن.

وعلى هذا المثل يقاس الاحتفال والإتباع، وهما لن يجتمعا لأن الاحتفال ابتداع، و«بضدها تتميز الأشياء».

و يقول أخونا ــ رحمنا الله وإياه ــ «إن البدعة يجب أن تعرض على أدلة الشرع، فان كان فيها مصلحة فهي واجبة، وإن اشتملت على محرم فهي

محرمة، أو على مكروه فهي مكروهة، أو على مباح فهي مباحة، أو على مندوب فهي مندوبة».

وأخونا ممن يطالبون من ردوا عليه بمزيد من الإيضاح، وليته أوضح هنا أين موضع المولد من هذه الحالات الخمس!.

إن من الواضح أنه لا يصنف المولد تحت باب التحريم أو الكراهية، لكنه في مقال سابق يقول «لانعتقد أن الاحتفال بالمولد أمر واجب» وتبقى الإباحة أو الندب، ولايمكن أن نفهم كقراء أنه يريد أحدهما، لأنه يرى في المولد مصلحة، ومافيه مصلحة يراه واجباً، وحتى لو رأى أحد الأمرين : الندب أو الإباحة فإنه لم يوضح ذلك.

أما من يحرم الاحتفال بالمولد فإنه يرى فيه ابتداعاً وتعظيماً للمخلوق لايرضِي ذلك المخلوق نفسه صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، لأنه يقول ضمن ما قال:

أنا عبد الله ...
لا تطروني ...

إذا جاءكم المداحون فاحثوا في وجوههم التراب.

وماكان مديح الشعراء في وقته إلا إعلاماً للإسلام حيث الشعر لسان الاعلام ويقال حثًّا عليه، ودفاعاً عما قد يلصق به مما ليس فيه، ولم تكن به مبالغات، ولاخروج عن الحدود.

والموالد ــ كما ذُكر وعُرف ــ يصحبها في الغالب الكثير من الخرافات والمخالفات، وانتهاز الفرص الملتوية، هذا فضلاً عن خطأ منشأ الفكرة.

فلماذا الابتداع لينشغل المسلمون وخاصة علماءهم بمحاربة مايصحب تلك البدعة؟!، هل ياترى لديهم فراغ يبحثون عما يشغله، وليس لديهم من الأمور التي تتطلب معالجة ومنافحة ومكافحة مايكفيهم؟! وهل يستطيعون مقاومة وتصويب كل المخالفات؟ أي هل هى ظاهرة لهم حتى يحاولون؟ وإذا حاولوا هل ينجحون في كل مايحاولونه، وخاصة إذا تكاثرت الأمور وتشعبت فأصبحت كثرتها عامل تقليص لزمن معالجتها.

ثم إن مما يخشى من أثرٍ لتعظيم المخلوق، ولوكان نبياً، أن يصل الأمر ــ ولو بعد حين ــ إلى ماوصل

إليه أمر الصليبيين من تأليه لعيسى عليه السلام، وتقديمه على خالقه، قال تعالى : ﴿**وإذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحٰنك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علّٰم الغيوب (١١٦) ماقلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ ١١٧ سورة المائدة.

وإن لم يحصل التأليه أو ما يشبهه الآن، فقد يحصل على مرّ الأيام إذا فتح باب الإمكانية، وتوفرت المظان، وتهيأ المناخ، وأوجدت الاحتمالات وأسبابها، بل لقد حصل فعلاً شيء من ذلك، ففي بعض البلدان و يل لمن يسب محمدا وقرآن محمد، وو يل لمن يسب عيسى وانجيل عيسى، لكن ــ والعياذ بالله ــ سب رب محمد وعيسى والقرآن والانجيل، سب رب العزة والجلال يسمع و بألفاظ ممجوجة مستهجنة ينتفض منها القلب،

و يـقـشعر البدن، وتشمئز النفس، يسمع بدون اعتراض أحـد، وكـأن قـائـل أقـذع الـكـلام وأقذره يقول كلاماً لاسوء فيه!

«لا حـول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم»، وماذلك إلا لأن سـب الـرب ـــ جـل جـلالـه ـــ لاعـلاقـة لـه بالطائفية!.

ويجرنـا تـكـرار مانقرأ من التعقيبات ـــ ربما للزومه ـــ إلى أن نكرر القول بأن الناس لم يؤدوا كل ماعليهم حتى يـبـحـثوا عن مزيد من العمل ليكون بدعة حسنة، أفـلـيـس الـقـيـام بـالـواجـبـات والـتـوجيهات الإسلامية المشروعة أفضل من الابتـداع؟! إن الـواجب يثاب فـاعـلـه، و يـعـاقب تاركه، أما السنة الحسنة و «البدعة الحسنة» فإنه لايعاقب تاركها.

و يـقـول قـائـلـون أو هو متعارف عليه بصورة عامة:
أن تـكـرار الـقـول لـيـس مـسـتـحسناً لكتابة فكرية وصـيـاغـة أدبـيـة، لكن قد يغيب عن ذهن البعض وخـاصـة فـي مجـال المحـاورات، أن تكرار القول من الأول يـضـطـر الثاني لتكرار مايتعلق به، وقد يجيء

التكرار في موضع يتطلبه، ويعطي من خلاله معنى جديداً، وتأكيداً لفظياً أو معنوياً، كما قد يضيف التكرار معاني وعبارات تلتصق به فتولد معاني أكثر، ومراميَ أخرى. ألم تتكرر ﴿فبأى آلآء ربكما تكذبان﴾ في روعة بلاغية مؤثرة! إن لغة الحوار والصيغة الجدلية قد تتطلبان او تفرضان التكرار احياناً ليؤدي معانيه.

والعودة إلى مسألة جمع القرآن وكتابته في المصاحف، تستوجب تذكير من يحتج بهما بأن مايفعله الخلفاء الراشدون ليس كما يفعله من بعدهم، ثم لقد تكرر القول بأن المسألة عملية إدارية صرفة، وتقنية تسهيلية تجعل كتاب الله في متناول من أراده أينما كان،وفي أي زمان.

وهى لا تتعلق بالعقيدة بل تخدمها، ولايتغير اللفظ أو المعنى أو الاعتقاد بهما سواء كتب القرآن الكريم على ورق، أو على جلد، أو «ميكرو فيلم» أو «ميكروفش» أو غير ذلك **«إن علينا جمعه وقرآنه»**.

والفكرة بوضوح هى التيسير والتسهيل لإمكانية

التناول والتداول، أي لاضرر ولامحظور ولا محذور من جمع القرآن وكتابته. بل قد يدخل ذلك في باب الواجب لوجود المصلحة، وهذا هو المثل الذي يصلح ليضرب لمفهوم «فإن كان فيها مصلحة فهى واجبة» لأنه يخشى ضياع نصوص القرآن وتفرقها، والقاعدة الفقهية تقول «مالايتم الواجب إلاّ به فهو واجب» ولربما يكون هذا هو أحد سبل حفظه الذي قال عنه رب العباد سبحانه ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون**﴾.

وفرق شاسع، وبون واسع بين فكرة الاحتفال بالمولد وبين جمع القرآن في مصاحف، وهو فرق لايحتاج إلى دليل إلاّ إذا احتاج النهار إلى بيان والشمس إلى برهان.

والعقل والمنطق السليمان المتفقان دائماً مع الشرع يقولان لنا **لو أن مايصرف على الموالد من وقت ومال وجهد يصرف فيما شرع الله سبحانه، وأتى به نبيه صلىٰ الله عليه وسلم من أوجه الخير المحتاجة،**

لصار ذلك أحب إلى الله ورسوله وأكثر تحقيقاً لرسالة الإسلام ونشره، والقيام بالواجب نحوه.

ومن ذلك أن يصرف لمجاهدي فلسطين والفلبين وفطانى والحبشة وأفغانستان و بورما، وأكثر يات وأقليات المسلمين في الشرق والغرب **أليس ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله بالنفس والنفيس،** أو أن يصرف في مواجهة التبشير بالصليبية ودسائس اليهودية، والتنفير من الإسلام، وتشو يه حقائقه في آسيا وافريقيا وغيرهما. أو ان يصرف لانقاذ ضحايا القحط والمجاعات والفيضانات واكثرهم مسلمون.

أو ليس المفروض إذا خيرنا بين شر ين ولامناص من اختيار أحدهما أن نختار أقلهما ضرراً، وإذا خيرنا بين خير ين أن نختار أكثرهما نفعاً و برّا؟

ثم إن الأمور التي استحدثت وذكر أخونا أمثلة لها في مقالته لم تكن مخالفة للدين، وإنما ساعية للحفاظ عليه، ناشدة نشره بإذن ربه.

فمثلاً، لما تكاثر المسلمون، وأصبحوا لايسمعون

المؤذن والخطيب والإمام هل في مكبرات الصوت نفع ومصلحة، أم ضرر ومخالفة؟

وماذكر أخونا لم يتعلق بشخص محمد صلىٰ الله عليه وسلم ذاته، وإنما يتعلق بموضوعات إسلامية تتعلق بمنهجه، وسبل أدائه، **أي تركيز على المبادىء لا الأشخاص، وعلى الفكرة لا الذات**، وهذا ماينسجم مع مسار محمد صلىٰ الله عليه وسلم ودين الإسلام ومسلكه. وقد يقول قائل: ان الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لم يشرع المولد لانه يخصه، ويجاب هذا بأن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لايغفل ماهو حسن ولوكان يخصه، فقد أتي بوحي من ربه بالشهادتين وبقوله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾ كما قال صلىٰ الله عليه وسلم «من صلى على صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرا».

إن التعليل المعقول مهم لقبول الفكرة الجديدة، وتفضيلها على مايخالفها، لكن مشكلة الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف أو يومه أنه غير مقنع ولا مشرّع،

ومضاره أكثر من فوائده، وإن لم يخل من فوائد ومالا اعتراض عليه في حد ذاته، لكن الشرع الحكيم قد حرّم أموراً لاتخلو من فوائد لأن مضارها أكثر، **ولو لم يكن من مضار المولد كعيد أو احتفال إلا إثارة فتنة وخلاف بين المسلمين لم يكن لهما وجود من قبل لكفى ذلك سبباً لصرف النظر عنه، وخاصة في زمن شاعت فيه الفرقة، واحتاج إلى رأب الصدع،وتقارب الاحاسيس والممارسات.**

ويستدل أخونا بقوله تعالى ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**﴾ وبقوله تعالى ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**﴾ على الحث على أن يفرح الناس بذكرى المولد النبوي! فعلى هذا النمط، وأخذاً بهذا المنحى، هل يحق لمن لايوافقون على إقامة الموالد أن يستدلوا أيضاً على عدم استحسان الفرح بها بقوله تعالى ﴿**لكيلا تأسوا على مافاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ أو قوله تعالى ﴿**لا تفرح إن الله لايحب الفرحين**﴾؟!

لكن، لنعد إلى أهل الاختصاص فنقرأ ماقاله

القرطبي رحمه الله في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» الجزء الثامن ص ٣٥٣ حول الآية التي استشهد بها أخونا.

لقد قال: «قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضى الله عنهما: «فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام»، وعنهما أيضاً «فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله» ويؤيد هذا التفسير الآية التي قبلها «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» فالموعظة هى القرآن، وشفاء لمافي الصدور أي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق، وهدى أي رشداً لمن اتبعه، ورحمة أي نعمة، والكل صفات القرآن.

هذا ماورد في تفسير القرطبي، ومن هنا يظهر جليّاً أن الاستدلال بالآية على إباحة أو مندوبية أو وجوب الاحتفال بالمولد غير وارد في محله إطلاقا؛ ومن يبحث عن دليل قاطع لما يريد فلا يجده قد يضطر للاستشهاد بدليل بعيد يوهم بأداء المعنى، ولكنه لايؤديه ولايوصل إليه.

ويلاحظ أن بعض النقاط التي أوردها أخونا مثل «ولادة» آدم عليه السلام يوم الجمعة، وولادة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، والحديث الخاص بذلك، والفرح بالمولد، والاستدلال بالآيتين، وفكرة عرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب الخ. هذه النقاط وردت في مقال في جريدة السياسة الكويتية العدد ٤٨٧٠ في ١٤٠٢/٣/٢٣ ومقالة أخينا كان تاريخها ١٤٠٢/٤/١ والملاحظ اتفاقهما على أن آدم ولد بينما آدم خلق.

فليت أخانا أشار إلى المقالة السابقة ـ إن كان قد اطلع عليها ـ لكيلا يؤاخذ على عدم الإشارة ممن يرون ضرورة نسبة الشيء إلى مصدره، وربما لم يفعل ذلك لأن المسألة مسألة توارد خواطر وليست اقتباساً واستئناساً، وقد تتوارد الخواطر لدى من يتفقون على رأي، وخاصة في بعض الأدلة.

وبالمناسبة، أعرض على من يهمه هذا الموضوع أن يطّلع على مقالة عنوانها «المولد النبوي في الميزان

النبوي» للمهندس/عباس البدر نشرت في مجلة المجتمع الكويتية العدد ٥٥٧ في ١٤٠٣/٣/٢٤.

وفي العدد ٥٤٢٩ من صحيفة المدينة الصادر في ١٤٠٢/٤/٣هـ يقول أخونا «ولماذا نصر على عدم جوازه باعتباره بدعة، وفي البدعة ماهو حسن لايرد طالما أنه لايتعارض مع الأحاديث المحذِّرة من البدعة».

أما ماهو حسن في البدعة فيمكن الأخذ به دون أن يصحب البدعة ذاتها، أي أن يفصل عنها، أي أن يقام الذكر في الحرم والمسجد والمنازل دون أن يكون مرتبطاً بمولد النبي الأمين المتواضع، الذي يدعو للتواضع ويقول عن نفسه صلى الله عليه وسلم «أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» أوكما قال، ويقول أيضاً «أنتم أدرى بأمور دنياكم» تواضع جمّ، وتحريض على الاهتمام بالعمل والفكرة لابذات الشخص إلاّ في حدود ماشرع. وهل الجهاد مثلاً والصرف عليه مثل او يقرب منه الانشغال والصرف على اعياد الميلاد؟!!

وألاّ يمارس الذكر مقترنا بليلة واحدة في السنة أو ليلة في الشهر بلانص على ذلك من مصادر التشريع

بل يحسن أن يمارس الذكر كل اسبوع بل كل يوم وليلة وإن أمكن في كل ساعة أو أجزاء الساعة على ألا يصرف عما شرع غيره. وعسى أن ننشط في ذلك بما يرضى الله، ولايخرج عن تعاليمه أو يدخل في نواهيه أو يصل حد الغلو المنهى عنه.

وما تخصيص ليلة لم يرد لها تخصيص من قبل المشرع إلاّ خروج عن الأوامر، ودخول في النواهي، وما هو حسن يمكن الأخذ به واطراح ماسواه. وهنا تلتقي الآراء.

ومن الأدلة التي يستدل بها فتكون على من استدل بها لاله قول أخينا «.. فقال «**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**» خاصة وأنه لم يضع حداً لهذه الكثرة، أو استثناء لوقت يمنع فيه، بل لقد نبّه على أن صفة **المتأسين** برسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يكثرون الذكر» الخ. هذا ماكتبه أخونا.

فأولاً : الاكثار من الذكر لايرتبط بالاحتفال بالمولد، والسلف الصالح أكثر من الذكر، ولم يحتفل

بالمولد، وكان أكثر منا ذكراً، والله أعلم، لكنهم خير الأجيال مقارنة باللاحقين.

ثانياً : كثرة الذكر تتنافى مع تحديد يوم واحد وليلة واحدة هى ليلة و يوم «١٢» الثاني عشر من ربيع الأول من بين «٣٥٤» ليلة و«٣٥٤» يوماً، وتخصيص تلك الليلة، وذلك اليوم، بصفة وحالة لا تتكرر في غيرهما من الليالي والأيام.

ثالثاً : أن المعترضين على المولد لم يعترضوا على الذكر في حد ذاته، أو على قراءة السيرة العطرة واستخلاص العبرة منها في أي وقت مناسب، وإنما اعترضوا على تخصيص وقت لهما يتكرر سنوياً مرة واحدة دون أن يكون هذا الافراد شرعياً، ويخشون إذا جاء الأولاد والأحفاد أن يقولوا ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثٰرهم مقتدون**﴾ ٢٣ الزخرف وذلك حسن في الحق، ولكنه سيء في البدع التي قد تأخذ مظهر التشريع بالتوارث والتواتر والتقادم واستمرارية الفعل، وربما صارت لها صبغة اجتماعية لها قوة التقاليد، وتميز شخصية المجتمع،وقد تنمو وتشتد

في ظل مفاهيم المحافظة عليها خاصة إذا تضاعف سُوؤها بأن دخلتها المخالفات للشرع، وأصبحت ثابتة متكررة السوء، فأخذت صفة اللزوم والوجوب، أو ظاهر الوجوب، أو شابهت الواجب المعاقب تاركه، والذي يستنكر المجتمع تركه من فرد أو جماعة

ويمسى حينذاك ــ كما هو حاصل الآن في بعض المجتمعات الإسلامية، من العسير التخلص من الاعتقاد الخاطىء حتى لو وجدت الأدلة الدامغة المقنعة إذا لم تصحبها قدرة قوية شجاعة، فذة فريدة نادرة على التخلص من المؤثرات العاطفيه والجاهلية والاجتماعية المحيطة، هذا إذا وجدت تلك الصلابة الجريئة الناشدة للحق فقط والتي لاتخشى فيه لومة لائم، على أن الاحتراز قبل التمادى أفضل وأسهل وأدرأ للشر.

رابعاً : المولد ليس صفة تأسى بالمرة، والتأسى يأتي بالامتثال، ويعنى الاتباع، ولعله مرادف له، ويتم بالاكثار من الأذكار وبالصلاة والزكاة والصيام، وحج بيت الله الحرام، والجهاد في سبيله، والبعد عن الهوى، والغيبة والنميمة، وسفاسف الأمور، والموبقات،

وعن حمية الجاهلية، مع الحرص على العبادات، وحسن المعاملات، والأخلاق الراقية كالمحبة والتراحم والأخوة في الله كأخوة الأنصار والمهاجرين، وإحسان الظن، وما إلى ذلك مما لايخفى، وليس التأسى بإقامة الموالد التي لم يقمها قدوتنا الحسنة، وأسوتنا الطيبة، ومثلنا الأعلى من البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

خامساً : عبارة «أو استثناء لوقت يمنع فيه» ليت عبارة أخرى حلّت محلها أو جاءت معها تقول ما معناه «أو تعيينا لوقت تُحيا فيه غير ماورد».

وما رأى أخينا في قوله «فاطلق الذكر ولم يقيده بوقت كما قيّد التسبيح»؟ هل هذا دليل له أم عليه؟ هل هو دليل لمن يحدد وقتا معينا للذكر أم لمن لايرى التقييد؟!

و يعود صاحبنا إلى ذكر بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيوت العلماء ــ ولعله يقصد بعضهم ولم يحدد زمنهم ــ فهل إذا كان على حق فيما يقول عنها يكون بالضرورة على حق أيضاً فيما يراه بشأن المولد النبوي؟!

وما رأيه في بعض علماء عصرنا الذين يُسْلِمون أيديهم للعامة، ينحنون عليها فيما يشبه الركوع ليمطروها تقبيلاً بعضه للتبرك لا لمجرد إظهار الاحترام، مارأيه إذا كانت بيوتهم ليست كبيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أو هى كبيته؟! وما رأيه فيهم إذا أقروا المولد أو لم يقروه؟! هل يغير ذلك من الموقف الشرعي تجاه بدعة المولد؟! أو أي بدعة أخرى؟!

وهل إذا أخطأ بعض العلماء ــ فرضاً ــ في قضية البيوت يصبحون بالضرورة مخطئين في اعتراضهم على الاحتفال بالمولد؟! وماذا لو أيدوا المولد و بيوتهم ليست كبيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟! ماعلاقة هذا بذاك؟!! أو ليس هذا خروجاً عن الموضوع، وإدخال أو «حشر» قضية في قضية أخرى؟!

ثم إن العقيدة وما يتعلق بها هى الأهم فأعداء الإسلام أول مايصوبون سهامهم تكون أهدافهم العقيدة فإن أصابت السهام استبشروا، والا واصلوا محاولاتهم مع إحساس بعدم النجاح حتى تتم الإصابة.

ولو قيل لشخص ما لا تأخذ يا أخي المسلم فوائد ربوية من «البنوك» ولا تقترض بفائدة ربويه، فقال: إن بعض التعامل التجاري في المكان الفلاني ربوى إلاّ أن «البنك» أقل ربحاً عندما تقترض منه، وأنا مضطر، ـــ ومسألة الاضطرار هذه مشكوك في صدقها وواقعيتها ـــ أليس من الطبيعي والمنطقي أن يقال له: لا تتعامل بالربا لامع هؤلاء ولامع أولئك، فما أسوأ هذا وذاك، والمراباة بقليل المال أو الربح أو كثيرهما كالمقامرة بقليل المال أو كثيره، لا تغير فيهما الكثرة والقلة من درجة التحريم، وليس أخذ فئة فوائد ربوية كبيرة على المقترض يبيح أن يقترض من غيرهم بفوائد ربوية أقل، وليتنا نتبع أوامر الله فيما أمر به، ونجتنب نواهيه فيما نهى عنه، ونقتدي برسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أن نأذن بحرب من الله جلت قدرته، قد أنذرنا بها من قبل، و «من أنذر فقد أعذر»، والتبرير دائماً يحتاج إلى دليل قاطع، أو منطق معقول، ومعقوليته تبدو من مدى ملاءمته وتواؤمه مع أوامر ونواهي الإسلام، والأسس النفسيه والقولية والفعلية للشرع الحكيم.

وعلى افتراض أن المولد في حدّ ذاته ليس بدعة، فإن العلماء والدعاة إلى الله تعالى لم يستطيعوا أن يحققوا تامًّا مايأملونه في أن يتبع الناس كل أوامر الله سبحانه، ويجتنبوا كل نواهيه، فكيف يراد منهم أن يقروا المولد ليوجدوا ما يشغلهم و يفتحوا باب ريح من المشكلات تتطلب صرف قسط من الجهد وهو الدعوة إلى اجتناب مايصحب احتفالات المولد من البدع والخرافات والمهازل التي يمجها العقل، ويمقتها الدين القويم؟! هذا إن استطاع العلماء والقادة المصلحون أن يفعلوا وتمكنوا من معالجة الداء. وهل من المناسب أن يوجد الإنسان أمراً كان في غنى عنه بماهو أفضل منه، ليعالج مشكلات هذا الأمر علاجاً ليس مضمون الشفاء؟! وكيف يقدم على ذلك الأمر وهو بإمكانه الاستغناء عنه. والاستفادة من وقته فيما هو أفضل منه وأوجب وأحب إلى الله ورسوله مما لايزال أمانة لم تُؤَدّ، وهى تحتاج إلى مزيد من وقت العلماء والقادة والخاصة والعامة؟!

إن في علماء المسلمين المرونة الكافية التي إن

زادت عن حدها صارت تهاوناً وتفريطاً ــ لاقدر الله ــ وقد يأتي من يتهمهم بالتشدد ــ عن سوء نية ــ ليحثهم على مزيد من مرونة تؤدي إلى التجاوز، وهو يعلم أن مرونتهم كافية، ولكنه يضغط مع غيره لتتعدى المرونة حدودها وتصبح مرقى سهلا، وهذه لايتهم بها أحد أو بلد بعينه إلاّ أنها متوقعة من أعداء الإسلام أو من حَسَن نية عليه الاستغفار والتوبة ومراجعة النفس قبل التوغل في الخطيئة.

ومما يعطى دليلاً على عدم تشدد العلماء أو تعسيرهم وهو مجرد مثال له أمثال أنهم لم يكفروا من يأخذ بأي رأي شرعي مما اختلف أئمة الفقه الإسلامي فيه، فمن يقرأ البسملة سراً في القراءة الجهرية ــ مثلاــ لم يكفر من يقرأها جهراً أو يعتبره ومخالفاً لسنة الإسلام وكذلك العكس، ومن يصلى صلاة الوتر مثلاً حسب مذهب فقهي معين لم يُعترض عليه لأنه لم يصلّها وفقاً لما رآه أحد الأئمة الآخرين، والأمثلة لا حصر لها.

وهكذا نرى أن العلماء ليس لديهم تشدد وحرص

فيه فوات فيما لايمس سلامة العقيدة أو الأساسيات في الإسلام حيث حرصهم مبني على أدلة واتباع واجتهاد ـ وجل من لايخطىء ـ ولكن الاحتراز والتنبه يقللان من احتمالات الخطأ. وعدم الاصرار على الخطأ يمحو الخطأ بإذن الله؛ أما الخلافات التي لاتخرج عن نطاق الإسلام، وتأتي من باب الرحمة والتوسيع، وتعدد الفوائد بتعدد السبل والأساليب فيبدو إن العلماء يقفون فيها ومنها عند حد التوسط بين الافراط والتفريط أي البعد عنها، وهذا موقف شريعة الإسلام؛ وليس مرونة منهم ولا تشدداً وإنما توافقاً وتمشياً مع مبادىء دينهم كقادة فكر وتوجيه وإرشاد.

وفق الله أئمة الإسلام قادة وعلماء لمافيه الصواب وإضاءة الطريق، ووفق أبصارنا وبصائرنا للاسترشاد والرشاد.

وأرجو تلطفاً وسعياً للوصول إلى نقطة التقاء ممن يقرون أو يحبذون الاحتفال بالمولد الإجابة على هذه الأسئلة المتسائلة بروح علمية موضوعية حريصة على الهدف والإنضواء تحت راية « لا إلٰه إلا الله محمد

رسول الله» وفقاً لنهج واحد، لأمة واحدة، دستورها وتعاليمها موحدة. وتود أن تكون من الفرقة الناجية.

١ ـ لماذا لم يحتفل محمد صلّى الله عليه وسلم بذكرى مولد أو وفاة أمثاله من الأنبياء السابقين كإبراهيم جده خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى أحد معجزات الله، أو جده آدم عليهم السلام؟ أو يقيم مولداً أو يحتفل بذكرى الناس الصالحين كحمزة وخديجة رضى الله عنهما؟

وهل نجرؤ على الإثم الكبير فنقول أنه غاب عن باله وهو الذي ماضل ولاغوى، ولاشك أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؟!

٢ ـ لماذا لايحتفل الناس الآن بمولد الأنبياء والرسل الآخرين على اعتبار أنهم أنبياء الله ورسله إلى البشرية، وقد قدموا بإذن الله للإنسانية الهداية إلى دين الله الحق إلى أن نسخت دياناتهم بإرادة الله بدين الإسلام آخر الأديان؟

ألا نخشى أن يأتي من يقول بهذا المنطق؟ وتحت شعار البدعة الحسنة أيضاً؟! وإن كان الاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خاتمهم وأفضلهم فلا يمنع ذلك من أن يحتفل بميلادهم، ولو مع تأخرهم بعض الشيء عنه في الفضل، بالإضافة إلى الاحتفال بمولده معهم أيضاً. هذا إذا أقر مبدأ الاحتفال بمولد هداة البشرية والصالحين، لنصبح مشغولين بالأعياد، وماضي الأمجاد.

وكذا الاحتفال بمولد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وسبطي رسول الله الحسن والحسين وغيرهم وغيرهم. فهلا تكون الاحتفالات بموالد هؤلاء بدعة حسنة عند من يرى الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعة حسنة؟!! ولنا أن نتصور عمار حياة المسلمين وانشغالها بمولد إثر مولد، وما هو إلاّ دمار لا عمار.

يقول الشاعر الإسلامي وليد الاعظمي في ديوانه «الزوابع».

يـاهـذه الـدنـيـا أصـيـخـي واشـهـدي
أنّـــا بـــغـير محـــمـــد لانـــقـــتـــدي

اســـلامـــنـــا لايـــســـتـــقـيم عـــمـــوده
بـــدعـــاء شـــيـخ في زوايـا المـسـجـد

اســـلامـــنـــا لايـــســـتـــقـيم عـــمـــوده
بـــقـــصـــائـــد تـــتـــلـــى لمـــدح محـــمـــد

اســـلامـــنـــا نـــور يـــضـــيء طـريـقـنـا
اســـلامـــنـــا نـــار عـلـى مـن يـعـتـدي

وهـو لايـرفض دعاء الشيخ في زوايا المسجد ولكنه لايكتفي به.

٣ ـ هل يعتبر من جاءوا بعد محمد صلى الله عليه وسلم الأدنون والبعيدون مقصرين؟! وإلى أي حد؟ في أنهـم لم يحـتـفـلوا بمولده، ومنهم الخلفاء الراشدون، وعـمـر بـن عـبـد الـعزيز، وأئمة الفقه والحديث والتفسير والـقـضـاء وابـن تـيـمـيـة وابـن الـقيم والسلف والخلف الصالح المتبع؟

٤ ـ لماذا يقف في بعض البلدان الأخرى بعض الناس ممن لايحتفلون بالمولد موقف المؤاخذ المتشدد المتحمس بانفعال وتطرف مع أن المولد ليس واجباً وإنما هو مجرد بدعة حسنة مستحبة في نظرهم؟ وماذا يمكن أن يوصف به موقفهم؟ ولماذا لايصرفون جهودهم فيما لم يكتمل من الواجبات المفروضة، والفرائض الغائبة؟

٥ ـ إذا كانت البدعة «الحسنة» ستثير شقاقاً وانشقاقاً وخلافاً وفتنة كلامية قد ينبثق عنها مالا تحمد عقباه، وبلبلة في أذهان الدهماء أليس الحسن أو الخطوة الحسنة بدلاً من البدعة «الحسنة»، هو تركها مادام تركها لايخل بالدين، ولايعدّ تقصيراً فيه، ولاخروجاً عن سنة محمد صلوات الله وسلامه عليه؟

ولايمكن أن يطلق وصف البدعة الحسنة لتوخى ذلك في ذات المبتدَع، وإنما فيما يترتب على الأخذ به فيما بعد، لايكفي النظر إلى واقع الحال بل إلى الآثار والبقايا والمخلّفات.

ولقد قرأت أخيراً فى صحيفة المدينة المنورة، العدد

٥٤٣٩ في ١٤٠٢/٤/١٣ فقرة عن أن الله سبحانه خاطب الأنبياء بأسمائهم ماعدا محمداً صلى الله عليه وسلم، فهل هذا دليل جديد على مشروعية إقامة الاحتفال بمولده؟ أم لادخل لهذا بالمولد؟ وهل المناداة بالاسم أقل شأنا من مناداة الأنبياء والرسل بغيرها؟ ومن قال بهذا؟ أم أن هذا إيمان بالألقاب والصفات، وأن استعمالها والاهتمام بها يفوق فضلاً إطلاق الاسم المجرد؟!

ثم هل من شك أو خلاف على منزلة محمد صلوات الله وسلامه عليه عند ربه تعالى أو عند جميع المسلمين سواء دعى باسمه أو بغير اسمه؟! أو صارت اسرته من اكرم الاسر واكبرها مكانة كما هى اسرة ابى لهب وابى جهل.

وهل لايجلو لبس ذلك أو يزيل غموضه و يثبت حقيقة المحبة سوى الاحتفال بمولده؟!! يكفى محمداً صلى الله عليه وسلم انه نبي الله ورسوله وعبده ليتربع على القلوب.

إن من قد يقولون يجب ان نحتفل بمولد محمد صلى الله عليه وسلم لنثبت للعالم أننا نحب محمداً، وأن من لايحتفل بمولده قد يتهم بنقص في محبته له، يحسن أن يردَّ عليهم بأننا يجب ألاّ نحتفل بمولد محمد صلى الله عليه وسلم لنثبت للعالم أننا نحب محمدا وأصحابه وذلك باتباعهم واقتفاء أثرهم وعدم الخروج عن جادتهم. **كما يجب أن نبين للعالم لماذا لانحتفل بالمولد**، وذكرنا للأدلة القاطعة القوية سيوجد الفهم والتفاهم، ويزيح حاجز الاغلاق الذهني عن معرفة الأسباب والمبررات ووجهات النظر، ثم نتيجة لمزيد من الايضاح سنجد الكثيرين ممن فهموا خطأ أن الأفضل هو الاحتفال بالمولد يلتقون معنا ــ لوجود الأدلة ــ على أن الأفضل الاتباع لا الابتداع المثير للريب والفرقة، ومايختلف عليه يحسن تركه إذا لم يكن الاختلاف على مشروعيته، وإنما على كونه «بدعة حسنة أو سيئة»، وهذا أسلم لمجتمع الإسلام وأمة محمد.

إن الخطأ القائم هو أن كثيرين لايعرفون حجة من

لايـرون **الاحـتـفـال بـالمـولـد،** لا لانـعدام ماكتب عن الموضوع، ولكن لقلته ومحدوديته وانحصار نشره في مجتمع محدود، ولغة واحدة في الغالب، ولذلك فمن لايعرفون الحجة قد يفسرون أو عامتهم الأمر بماليس صحيحاً وموضوعياً عفا الله عنا وعنهم.

ومن أدلة من يرون الاحتفال بالمولد بدعة حسنة قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن جمع الناس لصلاة التراويح «نعم البدعة» [٢] ونسوا عدة اعتبارات لها قوة الموقف منها أن صلاة الناس للتراويح جماعة كانت تقام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تركها ـ جماعةً ـ صلى الله عليه وسلم لكيلا تفرض، لكنه لم ينه عن صلاتها جماعة، ومن الناس من يرى أن التعبير مجازيٌّ إشارة إلى عدم ممارسة صلاة التراويح جماعة في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه، وأن عمر صار المبتدىء بإحيائها كسنة تركت لسبب، وعادت لسبب، ومن أسباب عودتها تحريض الناس على أدائها واستبعاد احتمالات الخوف من اعتقاد أنها مفروضة، ومن الاعتبارات

والاحتمالات المتوقعة ان يكون عمر رضى الله عنه قد قالها تهكماً بمن ظن بدعيتها، وهذه الاحتمالات أو الوجوه الثلاثة قد أشار إليها الشيخ صالح سعد السحيمي في مقالة عنوانها «البدع وأثرها في انحراف التصور الإسلامي نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة العدد ٥٠/٥١ السنة الثالثة عشرة في ربيع الآخر/رمضان ١٤٠١.

وعمر رضي الله عنه مايصدر منه لايعد بدعة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» الخ.

فسنة الخلفاء الراشدين ليست بدعة، وكيف يبتدع عمر رضى الله عنه وهو يعلم أن «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» وليس من حسن في البدع بعد المشرِّع وابتكاره وابتداره، ونبذه لكل سيء، وجلبه لكل طيب.

ولنا أن نتصور من الناحية الفكرية والنفسية طفلة تقول لوالدها: سأقتلك تقبيلا يا والدي. فيقول لها الأب الحنون: نِعْم القتلة! فهل نعتبره مقرا لظاهر لفظ القتل، وأنه أباح قتل الوالد لمجرد الاستعمال المجازي؟! وأنه أعطى إذناً حقيقياً به؟! أم ان البلاغة العربية تستسيغ ذلك التعبير ليؤدي مفهوماً خاصاً؟!

وعمر رضى الله عنه الذي يستشهد مؤيدو المولد بحادثة إظهار محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفضيله له على نفسه حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الآن ياعمر» أي الآن آمنت ـ كما سلف ذكره ـ نسوا أنه مع قوة محبته لم يُقم لرسول الله احتفالاً بمولد، ولا أربعينية، وهل يمكن أن يتم هو أو من قبله بالتقصير؟!

ويرجع الشيخ صالح السحيمي في مقالته آنفة الذكر إلى تعريف البدعة فيقول : نقلاً عن الإمام العلامة الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه الاعتصام: «(أصل مادة «بدع») للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: **(بديع السموات والأرض)** أي مخترعها من غير سابق متقدم، ويقال ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، ويربط الامام الشاطبي بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي فيقول: ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة».

وصلاة التراويح جماعة جاءت في عهد عمر رضى الله عنه على مثال سابق لذا ليست بدعة، إن أخذنا بهذا التعريف. ولمن أراد التوسع أورد فيما يلي ماجاء تحت كلمة «بدع» في كتاب «المعجم المفهرس

لألفاظ الحديث النبوي» الجزء الأول ص ١٥١ — ١٥٢ للدكتور ونسنْك/جامعة ليدن/هولندا ١٩٣٦م.

بَدَعَ *

قال محمد فإنه قد بُدِعَ بِي حم ٤، ١٢٠

أَبْدَعَ *

يا رسول الله إنّي أُبْدِعَ بي فاحْمِلْني د أدب ١١٥، ت علم ١، حم ٤، ١٢٠، ٥، ٢٢٣

كيف أصنع بما أُبْدِعَ عَلَيَّ منها م حج ٣٧٧

إنْ هي أُبدِعَتْ كيف يأتي بها م حج ٣٧٧

تَبَدَّعَ *

اِتَّبِعْ ولا تَتَبَدَّعْ دى مقدمة ١٩

وإياكم والتَبَدُّعَ دى مقدمة ١٩

ابْتَدَعَ *

حتّى ابتدع لم غيره... ما ابتدع فإنّ ما ابتدع د سنة ٥

ابْتَدَعَ بِدْعَةً [راجع بِدْعَة]

أَمِ ابْتَدَعْتَ قال لم يأتِني أمرٌ... حم ١، ١٠٠

ورَهْبَانِيَّةً ابتدعوها د أدب ٤٤، ن قضاة ١٢

فاتَّبِعْ ولا تَبْتَدِعْ دى مقدمة ٢٢، ٢٣

أمرٌ من أمير المؤمنين ولم أَبْتَدِعْ ولكن... حم ١، ١٠

اركَبوا سالِمَةً وابتدِعوها سالِمَةً حم ٣، ٤٤٠، ٤، ٢٣٤

باب إمامة المَفْتُونِ والمُبْتَدِع خ أذان ٥٦

ولستُ بمُبْتَدِع ولكني مُتَّبِع د مقدمة ٢٩

كان إبراهيمُ لا يرى غِيبَةً للمُبْتَدِع دى مقدمة ٣٥

وجاؤا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ حم ١، ٤٠٢، ٥، ٤٣٩، ٤٤١**

أو في شيءٍ مُبْتَدَأً أو أمرٍ مُبْتَدَعٍ حم ١، ٤٣٩، ٣، ٣٧

بَدِيعٌ *

الله ... البديع الباقي الوارث ت دعوات ٨٢

المَنَّانُ بَدِيعُ السموات والأرض د وتر ٢٣، ت دعوات ٩٩، جه دعاء ٩، ن سهو ٥٨، حم ٣، ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥

بِدْعَةٌ ج بِدَعٌ *

... فلم يَقْنُتْ ثم قال يا بُنَيَّ إنّها بدعة ن تطبيق ٣٢

فسألناه عن صلوتهم فقال بِدْعَةٌ خ عمرة ٣، م حج ٢٢٠، د صلاة ٤٤، ط حج ٥٤، حم ٢، ١٠٠

وإظهارُك المَعازِفَ والمِزمارَ بِدْعَةٌ في الإسلام ن في ٢٠

نِعْمَ البِدْعَةُ هذه خ تراويح ١، ط رمضان ٣

وقال الحَسَنُ صَلِّ وعليه بِدْعَتُه خ أذان ٥٦

فتمسُّكٌ بسُنَّةٍ خيرٌ من إحداث بِدْعة حم ٤، ١٠٥

أبَى الله أن يَقْبَل عَمَلَ صاحبِ بِدْعةٍ جه مقدمة ٧**

وكُلُّ بِدْعَة ضلالةٌ .... م جمعة ٤٣، د سنة ٥، ن عيدين ٢٢، جه مقدمة ٧، دى مقدمة ١٦، ٢٣، حم ٣، ٣١٠، ٣٧١، ٤، ١٢٦، ١٢٧

الأخذُ بالسُنَّة واجتِنابُ البِدْعة ت علم ١٦

أمثَل بِدْعَتِكم عِندى... حم ٤، ١٠٥

لمن كانت فَتْرَتُه إلى بِدْعَةٍ فقد ضَلَّ حم ٥، ٤٠٩

فإمّا إلى سُنَّة وإمّا إلى بِدْعَةٍ حم ٢، ٤٠٩

جئتني ببِدْعَةٍ قال قلت... د أدب ١٥٩

... ويعملون بالبدعة جه جهاد ٤٠

القَصْد في السنّة خيرٌ من الاجتِهادِ في البِدْعَةِ دى مقدمة ٢٣

ما جاء به من البِدْعَة والضَّلالِ حم ٣، ٤٦٢، ٤٦٣

... ومن ابتدع بِدْعةً فعمل بها ... جه مقدمة ١٥، ت علم ١٦، دى مقدمة ١٦**، حم ٤، ١٠٥

يُطْفِئون السُنَّةَ ويُحْدِثون بِدْعَةً حم ١، ٤٠٠

ولا مع أهل البِدَع في بِدَعِهم دى مقدمة ٢٣

يحدثونكم ببدعٍ من الحديث حم ٢، ٣٢١

باب ما يكرَه من ... والغُلُوّ في الدين والبِدَع خ اعتصام ٥

ولا تتّبع السُّبُلَ قال البِدَعَ والشُّبُهات دى مقدمة ٢٣

إياكم والتنطُّعَ والتعمُّقَ والبِدَعَ دى مقدمة ١٩، ٢٥، جه مقدمة ٧

جملة معترضة بالمناسبة: متى توضع فهارس القرآن الحكيم والحديث الشريف والمعاجم والقواميس الحديثة كالمنجد وغيره من قبل علماء المسلمين وجامعاتهم؟

ومن روائع مايقرأ عن صلابة العقيدة في كتاب «حكم وأحكام من السيرة النبوية» [٣] للشيخ عبد الله عبد الغني خياط ص ٧ قوله «ومن حق الأمة الإسلامية أن تزهو بتلك المواقف الكريمة التي لم تكن إلاّ لتقرير قضية عادلة، هى قضية الإسلام وتنظيم العلائق بين المخلوق والخالق بحيث يكون الإتجاه إلى الله وحده في كل تصرف للمخلوق، وبحيث يتفرد سبحانه بكامل حق الألوهية. من تعبد وقصد وتمجيد دون سواه من المربوبين والمعبودين، والآلهة المزيفة التي أسف الجاهليون باتخاذها والتعلق بها من أوثان وأصنام، وقبور صالحين، وملائكة مقربين». وجل الله عن التشبيه، ولكن ماذا لو أن حفلا صرف الترحيب والولاء للوزير متجاهلاً من استوزره؟!

ويقول الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع في كتابه «حوار مع المالكي» [٤] ص ١٣٥ «وربما يضم إلى ذلك من لم يحكم أصول العلم ماعليه كثير من الناس من كثير من العادات ونحوها، فيجعل هذا أيضاً

من الدلائل على حسن بعض البدع، إما بأن يجعل ما اعتاده هو ومن يعرفه إجماعاً، وان لم يعلم قول سائر المسلمين في ذلك، أو يستنكر تركه لما اعتاده، بمثابة من ﴿٥ : ١٠٤ **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**﴾ وما أكثر ما قد يحتج بعض من يتميز من المنتسبين إلى علم أو عبادة بحجج ليست من أصول العلم التي يعتمد في الدين عليها)).

ولربما يصبح المولد عادة اجتماعية يستصعب معها الفرد مخالفة المجتمع والآباء، و يراها وقد أخذت صبغة الشرعية مع مر الأيام وكرّها، قال صلى الله عليه وسلم ((كفى بالمرء إثما إذا قيل له اتق الله غضب)) رواه الطبراني (٦) ولربما يكون الذي أغضبه أحياناً اعتقاده أنه لم يأثم بما يفعل من آثام لا يُقرُّ بها لأنه اعتقد أنها محاسن لامساوىء مارسها عن أب عن جد.

ومن هنا تبدو المسألة تعليمية تربوية إذ أن التربية هى مصحّ أمراض المجتمع، والتعليم موطن تطبيق الفلسفة، ولذا فمسألة المولد وما يصحبها من أنماط سلوك تركز على الذات أكثر من الفكرة والمبدأ،

وعلى الشخصية أكثر من الموضوعية مسألة تؤثر على سلوك الفرد طفلاً، وعلى منحى اهتماماته شاباً وكهلاً، ولها دورها وتوجيهها لتحديد معالم حياة الإنسان، وجعلها تتبنّى الثانويات والهوامش، وتنصرف عن الأولويات والمتون والأساسيات.

ثم إن النقطة الرئيسة التي يعتمد عليها عدو الإسلام في تقويض البنية. وتحطيم المجتمع بصورة تضمن له أن الشرح لايصلح في حينه، والصدع لايرأب، والضربة تصبح بالغة إن لم تكن مميتة هى الحرص على بذر بذور التفكك الديني والتفرق والاختلاف بدلاً من الالتفاف حول العقيدة بسياج إيمان وأخوّة ومنعة منيعة، ولذا فتربية ناشئة الأمة على المعاني الطيبة والاتباع، وحمايتهم من شتات الذهن، وفرقة الرأي هو أسلم مسار يضمن بإذن الله الصحة النفسية، والسلامة التربوية.

والتربية ليست تعليماً وطرق تدريس ووسائل سمعية وبصرية فقط، **وانما هى أيضاً سلوك وعقيدة ونمط تفكير وخطوط عريضة يتبعها تفصيلات تجعل المجتمع يفكر بصواب، ويعمل بإتقان، ويميز بذكاء**

وفطنة بين الغث والسمين، والحق والباطل، والسليم النزيه والمشبوه. وللدلائل دورها في قيادة الرأي. وقلب المؤمن دليله. **ولذا فجميع الناطقين بالشهادتين مطالبون بسد الثغرات قبل أن تصبح فجوات ومسالك معبدة لجيوش الأعداء الفكرية التي تسبق الجيوش الفعلية.**

ومما يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الاحتفال بالموالد المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/السنة الحادية عشرة/العدد الثالث/ربيع الأول ١٣٩٩هـ ص ٨٣ مانصه «.. وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي.. وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر وظنوا أنها من البدع الحسنة، والقاعدة الشرعية ردّ ماتنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عز

وجلّ ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ وقال تعالى: ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله**﴾ وقد رددنا هذه المسألة وهى الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا، وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله، ولا أمر به، ولافعله أصحابه رضى الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم.»و يقول عن الصلاة على النبي صلىٰ الله عليه وسلم «وهى مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير، وسنة

مؤكدة في مواضع كثيرة، منها مابعد الأذان، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام، وفي يوم الجمعة وليلتها، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة».

وأكثر المعترضين على المولد من الحنابلة ــ كما أوردت ــ وإن شمل الاعتراض جماعات من مختلف المذاهب، والحنابلة هم الذين يرون وجوب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم في التشهد الأخير أو هم ممن يرون ذلك، وهذا دليل قاطع على أن الاعتراض على فكرة المولد لا تمت بصلة إلى مقدار محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلم (١) .

وأعتقد أن النقاش وإن طرقه وتطرق إلى موضوعه من ليسو بمختصين به أو متفرغين له، لكي يثيروا الأسئلة، وتظهر مواطن التساؤل، فإنه في النهاية يحسن أن يعزز بخاتمة مهمة، وأن يتوج برأي علماء الإسلام الذين تربطهم رابطة إدارية لمثل هذه الشئون كهيأة الافتاء، أو كبار العلماء، أو ماشابه ذلك، خشية أن يترك الناس لآراء من لايودون أن يحسبوا ضمن من يأتون في آخر الدنيا يفتون بلاعلم، وهم أحد أشراط

الساعة، وهم أيضاً لم يستفتوا، وليسوا فقهاء علماء محدّثين مختصين، خاصة وأننا في زمن الاختصاص، حيث توسعت العلوم والمعارف والثقافات، وأصبح من الصعب على الإنسان أن يلم إلمام خبرة بكل الأمور والفنون وكما يقولون «المشغول بكل شيء مشغول بلاشيء»، ولا أعني أنه لا توجد حتى حينه آراء هيأة دينية في الموضوع، ولكني أتمنى أن تنهى وسيلة الاعلام الناشرة للآراء المختلفة النقاش بنشر الفتوى الواردة في هذا الشأن وما شاكله، لتستكمل بحث الموضوع.

واللهم، إني أقول ما أقول منتظراً تصويب أخطائي مستغفراً الحي الذي لايموت قبل ذلك و بعده.

وأرجو ممن يلاحظ فيما قلت مايجد عليه رداً ــ وسيجد ــ أن يقول رأيه أيضاً في النقاط الأخرى مؤيداً إن لم يجد فيها مايعترض عليه.

والأمر يتطلب شجاعة أدبية وخلقية و «ليس الشديد بالصرعة» بعد أن توفرت المصارحة والنزاهة والبعد عن النفاق، أو التجريح والتعصب، والصيد في الماء العكر، والعاطفة التي عبر عنها الحديث الشريف

بقوله: «إذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعاً، واعجاب كل ذى رأي برأيه» الخ.

ولذا يحسن التوقف طويلاً للتأمل والتحليل وقياس المدى ما أمكن عند قوله صلىٰ الله عليه وسلم «دع مايريبك إلى مالا يريبك» وسيؤثر بلاشك مغزى الحديث وأبعاده في المتفكر فيه. كما يجدر بكل مسلم أن يحسب حساباً لثواب وأجر السنة الحسنة، وإثم وعقاب السنة السيئة وكسب أجر، أو حمل إثم من عمل بهما إلى يوم القيامة.

وإن التبرك بالقبور والأضرحة، والاستغاثة بالموتى بدلاً من الخالق الحي القيوم مثل «يارسول الله خذ بيدي» بدلاً من توجيه القول لرب رسول الله «ياعظيم الشأن خذ بيدي» والاحتفال بالموالد كما يحتفل النصارى بمولد عيسى عليه السلام وإن اختلف المحتوى، وكثيراً من الخرافات والخزعبلات والمدخلات والبدع وظواهر التخلف الفكري والاجتماعي والتربوي والتعليمي، وانحسار الوعي الإسلامي إنما تنشأ في حالتين :

١ ــإمّا في الأماكن البعيدة عن منابع الإسلام الصافية حيث لا تصل علوم الإسلام كاملة، ولا تترجم بدقة، وحيث يندس المندسون بانحرافاتهم، وحيث الصراع بين الطوائف يوجد الحرص على المظهر دون المخبر، وحيث الجهل بالإسلام أكثر من العلم به، والتأثر بالعادات والتراث متوارث، و يصل حد التعصب الأعمى، خاصة إذا كان موصل الإسلام إليها التاجر ــ أثابه الله ــ لا العالم الداعية المرشد ــ عفا الله عنه ــ

٢ ــأو في عصور الانحطاط والظلام والتدهور، وتسلط المستعمر ورغبته في إثارة الفرقة والفتن والجدل، وعند تفشي الجهل وغلبة المادية، وسوء الأحوال، وهذه وجدت في البلاد الإسلامية بعد العصر الذهبي للدولة الإسلامية، وعندما تفرقت الأمة الإسلامية إلى دويلات وحكمها عدوها، واستشرس الصليبيون في حملات متتالية تنجح ثم تخفق ثم تنجح، ولا تخفق إلاّ عندما يثم الأتباع أو يغلب في دولة الإسلام. التي لولا أن قيض الله

لها مصلحين ــ حتى في حالات ضعفها ــ يكافحون بقدر المستطاع ولو بأضعف الإيمان لأضحت وأمست في حال أسوأ.

وهذه الحال لن تصلنا في بلادنا هذه، بلد الحرمين الشريفين بإذن الله مادامت بفضله ونعمته على المحجة البيضاء المنجية من الهلاك، وقد يشذ عن أهل هذين الصنفين بالنسبة لبعض الأمور كالموالد قلة أو عامة يتفقون معهم في بعض الآراء، ولكنهم يختلفون عنهم أحياناً بحسن النية، ودرجة العلم أحياناً، والاجتهاد، والبعد عن الصفات السيئة المبيتة والشُّبَه القوية، وهؤلاء هم من ينفع معهم النقاش، وتظهر وتضمر لهم ولأمثالهم المودة لسلامة القصد ونزاهة النية ــ ولا تزكية لأحد على الله ــ

وفي صحيفة المدينة المنورة العدد ٥٤٤٠ الصادر في ١٤٠٢/٤/١٤ يقول أخونا «وما دمت قد أوضحت أن الاحتفال بالمولد غير مقتصر على وقت معين» وسواء كان يوماً أو أكثر من يوم كيف يمكن فهم أن الاحتفال بالمولد غير مقتصر على وقت معين، هل

سمعنا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب من احتفل بالمولد مرة في ١٠ أو ١٥ صفر، ومرة في ذى القعدة، وهل رأينا أو سمعنا بمن احتفل بمولد المصطفى في غير ليلة مولده التي هى في الحقيقة تاريخ وفاته؟ ولماذا يوجد التغيير؟ وهل إذا تغير الموعد سنوياً ينتهى الاعتراض؟!

إن الاعتراض ليس فقط على تخصيص يوم أو أكثر للمولد بل إن الاعتراض أيضاً على الاجتماع لإقامة المولد أو الاحتفال به في أي يوم كان، أي أن الاعتراض أيضاً على التسمية.

و يلتقى الرأيان المتعارضان في كلمة سواء إذا اتُّفق على تسمية الاجتماع بأنه اجتماع للذِكر، لامناسبة له سوى الذِكر المشروع اتباعاً، ولايحدد له وقت يرتبط بمولد أو خلق أو وفاة أحد ولو كان ذلك مولد أو وفاة خير البشر صلى الله عليه وسلم، وان جاء التحديد بسبب معقول مثل اجتماع الأقليات المسلمة في بلادهم للذِكر أو دراسة القرآن وعلومه يوم الأحد فلا اعتراض على ذلك. حتى يقيض الله لهم الحصول على اجازة في يوم الجمعة.

وما الرد على من يقول : إن لم أحتفل بالمولد النبوي الشريف فيكفيني أني في ذلك مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد والزبير وعبد الرحمن وخالد وعامر وعمار وبلال وسلمان وصهيب وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وعائشة وفاطمة والحسن والحسين والمقداد وابي ذر وعمر بن عبد العزيز ومالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وسعيد بن المسيب والزهرى وسفيان وابن تيمية وابن القيم وآخرين رضى الله عنهم أجمعين، فبمن يقتدي الداعون إلى الاحتفال بالمولد النبوي؟! وأين من يقتدون بهم من هؤلاء؟!!

وأما من يحتفلون بالمولد ممن يصومون أيام الاثنين والخميس فحسنا فعلوا أثابهم الله، وذلك بصيامهم اتباعاً، لا باحتفالهم بالمولد، ولعلهم يستمرون في فعل الحسن، وينتهون عما سواه، ليضاعف لهم الله سبحانه الجزاء إن شاء، ويحسن صرف الجهد وتركيز الدعوة لتكثير من يصومون تطوعاً واتباعاً بدلاً من صرفهما لغير ذلك، فمن ترك السيئة له أجر، ومن فعل الحسنة له أجر، وفي كلا الحالين تخلص من إثم، أو سعى لتكفير

قال تعالى : ﴿ثم جعلنك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون﴾ ١٨ الجاثية.

والله هو العليم الخبير

السميع البصير

متى احتفلَ بالمولد النبَوي لأول مرة ؟

ومَن فعَل ؟

يقول الشيخ صالح السحيمى في مقالته آنفة الذكر عن أصل بدعة المولد: «...وإن المتتبع للتاريخ الإسلامي يجد أن مثل هذه الاحتفالات لم تكن موجودة عند المسلمين الأوائل، بل ولافي القرون المفضلة حتى جاءت الدولة الفاطمية والتي انتسبت إلى فاطمة ظلماً وعدواناً، بل إن المحققين من المؤرخين يرون أنهم ينحدرون من أصل يهودي يقال لهم العبيديون وهم أبناء ميمون بن ديصان المشهور بالقداح، قيل إنه يهودي، وقيل مجوسي وقد استمرت دولتهم في مصر من (٣٥٧ ــ ٤٦٧هـ).

وقد احتفل الفاطميون بأربعة موالد : مولد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين.

فهم أول من أحدث ذلك كما ذكر المقريزي وغيره، وظلت هذه البدعة يعمل بها حتى جاء (بدر الجمالي) الوزير للخليفة الفاطمي (المستعلى بالله) وكان هذا الوزير شديد التمسك بالسنة، فأصدر أمراً بإلغاء هذه الموالد، وما ان مات (بدر الجمالي) حتى عادت البدعة من جديد.

واستمر الأمر على هذا الحال حتى جاء **عهد صلاح الدين الأيوبي**، وكان أيضاً من المتمسكين بالسنة، فألغى هذه الاحتفالات، وتم تنفيذ هذا الإلغاء في كل أنحاء الدولة الأيوبية، ولم يخالف في ذلك إلاّ الملك المظفر الذي كان متزوجاً من أخت صلاح الدين.

وقد ذكر المؤرخون أن احتفالات الملك المظفر بالمولد كان يحضرها المتصوفة حيث يكون الاحتفال من الظهر إلى الفجر، وكان ما ينفق في هذا الاحتفال يزيد عن ثلاثمئة ألف دينار.»!

ويقول الشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري في كتاب «الرد القوي» (٥) ص ١٣٠ مانصه:

«وأما قول الرفاعي : ليس الاحتفال بالمولد من مخترعات الدولة الفاطمية كما أشار الأخ سليمان معرفي في تعليقه على مقالي السابق، بل هو السلطان مظفر صاحب إربل المتوفي سنة ٦٣٠هـ [بعد القرن السادس الهجري!] كما ذكرت سابقاً نقلاً عن «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢٧٣/٣، وسبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، وقد أكد ذلك الإمام السيوطي في رسالته «حسن المقصد في عمل المولد»، حيث قال: (وأول من أحدث المولد صاحب إربيل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين على أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد. وكان له آثار حسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفرى بسفح قاسيون).

وفي ص ١٦٢ من الكتاب يقول الشيخ حمود «وممن كتب في إنكار بدعة المولد وذمها رشيد رضا في ص ١١١ من الجزء السابع عشر من المنار وهو أيضاً في ص ١٢٤٢ ـ ١٢٤٣ من المجلد الرابع من فتاوي رشيد رضا، فقد سئل عن قراءة القصص المسماة بالموالد هل هى سنة أم بدعة، ومن أول من

فعل ذلك، فأجاب بقوله: «وهذه الموالد بدعة بلانزاع، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر».

ويورد الشيخ حمود كما يورد غيره العديد من الشواهد القوية من الآيات القرآنية الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون** ﴾ ص ٩٥ من الكتاب، وقوله تعالى: ﴿ **أم هم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ ص ١٤٥.

وملخص القول أن القرون الستة الأولى المفضلة منذ نشأة الإسلام لم تعرف المولد النبوي كاحتفال أو عيد ولم تكن مقصرة بسبب ذلك. **ولذا يجدر بحقل التربية والتعليم وهو القيّم على توجيه النشء والأمة أن يحارب الخرافات والبدع الشاغلة ــ وكلها شاغله ــ عما هو أجدر بالوقت والفكر والجهد، كما يجدر به أن يرشد إلى عدم المغالاة في تعظيم البشر.**

الاحتفال بالمولد

من الناحية النفسية

عنـدمـا يـبـذل شـخـص مـا جهداً، فيصرف وقته، و يـبـذل مـالـه و يـتـعـب نفسه ربما فوق طاقته في ليلة المـولـد، وقـد يكون ممن لايؤدون الفرائض أو يتمونها، أو ممن يرتكبون المحرمات، فانه يشعر بأنه أدى عظيم عمل، وتَـقْـدمـة تكفير مقابل التقصير لن يطلب منه عمل مثله إلاّ بـعـد عـام آخر، وفي مثل هذه الليلة، ولليلة واحدة فقط، وهى ليلة مؤنسة تخفف من العناء والجهد والشعور بالذنب.

هـذا الـشـعـور ليس عامّاً، وليس الناس في درجته سـواسـيـة، ولـكـنه موجود لدى بعض من يقيمون الموالد بـدلـيل هروب بعضهم عن الحماس للتكليف بالأعمال الـيـومـيـة والأسبوعية أو التي يمكن تكرارها دون تحديد على مدى العام أو التي تطول مدتها.

ولو قرأ أهل المولد وأنصاره ــ وخاصة العامة منهم ــ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **عن أفضل الأعمال** لوجدوا أعمالاً ليقوموا بها تفوق أفضليتها بعض ماهم يقومون به نشداناً للأفضلية، هذا، إن لم يلازمهم أو بعضهم الشعور النفسي والأحاسيس الداخلية الباحثة عن التكفير عن الخطايا بأسلوب واهم مغالط، وبأيسر سبيل وأسهله وذلك ماوجدوه فعلاً في إقامة ليلة سنوية تشعر بالتخلص من الذنب، أو أداء مقابل له، بدلاً من أن يلازمهم الشعور بالذنب بدون تكفير مما قد يدفع إلى انفعالات وصراعات نفسية داخلية قد تؤدي ــ إذا تغلب جانب الخير ــ إلى إصلاح الذات، وأداء الواجبات، والتوبة عن المحرمات مع يقظة نشطة للضمير تباعد بينه وبين الخطايا.

والغرب وَرِث عصور الظلام الحالكه، ولما نهض صارت نهضته صناعية حربية، ولم يصحبها بعث خُلُقي سلوكي ديني صادق وإنساني سليم نزيه، ولم يوجد الغرب يوماً للأب، ولعل السبب كما يقال تربوي اجتماعي حيث عدد كبير من الأطفال لا آباء لهم

معروفون، أو لهم آباء هجروهم وأهملوهم هم وأمهاتهم، أو أن علاقات الأبوة معهم كعلاقات الأجنبي بالأجنبي، أي أنها لا توجد في الغالب في علاقاتهم معاني الحديث الشريف «ليس منا من لايوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا».

و يقال : إن عدم تخصيص يوم للأب يرجع إلى سبب ديني نصراني هو أن عيسى عليه السلام له أم، ومنهم من يرى أنه لا أب له، ومنهم من افترى على الله سبحانه فاعتقد أنه ــ جلّ وعلا ــ أب لعيسى، ولكنه ليس من البشر لذا أو لهذا وذاك صار العيد للأم فقط.

و بيت القصيد هنا، هو أن الغرب عندما خصص يوماً للأم عيداً لها تُكرّم فيه بعد ملازمة الشعور بالإثم لهم بسبب مواقفهم منها على إثر التغيرات الاجتماعية الكبيرة، والعادات الحديثة، صار أبناء الغرب يجهدون أنفسهم ويجتهدون في إرضاء الأمهات، والإهداء إليهن في ذلك اليوم، وتعج الدنيا بالمراسلات والمهاتفات والزيارات، ثم يأتي عكس ذلك في الغالب أوما يشبه

عكسه في بقية أيام العام على اعتبار أنها ليست يوماً أو أياماً للأم! وقد تمت مقاومة وخز الضمير، فقد أخذت الأم حقها في يومها كاملاً! وتخلص الأولاد من عقدة التقصير، وذلك بأداء كامل الواجب في اليوم الوحيد المقنن المحدد!! وأهملوا احترام الوالدات ورعايتهن، ولم يصحب ذلك شعور بالتقصير قد يوقظ الضمير، فالضمير ارتاح ونام على وهم هو أن الأم صار لها يوم في العام أعطاه إياها المجتمع، وهم يقومون خير قيام بجميع الفروض في ذلك اليوم، وبذلك تضررت الأم والأمومة بهذه النتيجة أكثر مما استفادت، وصارت ضحية آثار التكريم النادر، وما أكثر مايسمع في الغرب أن أماً عجوزاً أو شيخاً هرماً ماتا في منزلهما ومضت مدة من الزمن لم يدر بهما أحد سوى الجيران فيما بعد على أثر الرائحة أو ماشابه ذلك.

وعندما راقت الفكرة للحكومة الأمريكية «الفدراليه» أو «الكونقرس» بالقاف(*) أقترح يوماً للحموات على غرار يوم الأمهات، لأن الناس يهزأون

(*) طالع كتاب «ما استطعت» ص ٤٥، نشر دار العلوم بالرياض.

بهن، ويسخرون من وجودهن طوال السنة، فما أقل من تكريمهن يوماً في السنة، ليكتفين به، ويشعر الناس بأنهن استرحن في ذلك اليوم من السخرية اللاذعة والكلمات غير السارّة، وربما لعله يجعلهن مكتفيات بذلك اليوم من العام فلايكثرن من الزيارة!!! وأن أداء الواجب نحوهن تم في ذلك اليوم الذي يجب أن يؤدي فيه، ولكنه يوم قد يسبب ضرراً من ظاهر النفع، فلربما يدفع التكفير في ذلك اليوم إلى المبالغة في السخرية منها في بقية الأيام. وإلى إضعاف العلاقة الإنسانية، وصلة الرحم بها في بقية الأيام. مع ان الجدّات أُنس المنازل عندنا.

وهكذا صار، فيوم الأم للتكفير عن عقوقها، وضياع حقوقها طوال العام، ويوم الحماة(*) للتكفير عما ينهال عليها من غمز ولمز وسخريات، وللحدّ من الزيارات!

ولما حصل في بعض المجتمعات الصناعية التفكك الاجتماعي الأسري، وضاعت القيم الدينية، وزيفت

(*) قد تكون الفكرة المنشورة هازلة، لكنها تظل عاكسة للمعنى النفسي وراء إبرازها.

تعاليم النصرانية واليهودية، وصارت الدنيا هي دينهم وديدنهم أوجدت ضمن ما أوجد مناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الشخص، ليكون مناسبة سنوية لا تتكرر كثيراً لإظهار روح المودة والمحبة والمشاركة التي فقدت جذوتها، أو خفت بين أفراد الأسرة والأقارب والأصحاب والجيران، وهو يوم أشبه بيوم التكفير أو الإبقاء المحدود على رموز المحبة والتراحم، وإلاّ فإن النفس الإنسانية الميالة إلى الحياة ليس هناك مايشجعها على الحرص على تذكر السن وخاصة عندما تتقدم، فلماذا الاحتفال بانصرام عام من العمر؟!

ولهذا فإن الاحتفال بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس لائقاً بمقامه الرفيع، ومنزلته السامية، عند أتباعه المتبعين المهتمين باللباب قبل أو دون القشور، لأن ذكره الرائع الذي جاء به من ربه، وذكره العطر، على ألسنتنا وفي قلوبنا ومع أعمالنا وأخلاقنا صباح مساء بدون توقيت ولاحصر. و يوم نحس بتقصير فاحش فقد يدفعنا الخطأ إلى خطأ ينبثق من النفس للتكفير فنقيم ليلة مولد لمن قصرنا بحق ربه سبحانه وحقه

علينا ومع الشعور بالتكفير يستبعد احتمال الهيبة من الذنب.

ولربما يكون الذكر في ليلة واحدة في السنة مقبولاً إذا جاء ممن لا يذكرون الله ورسوله كل السنة، أمّا من يذكرون ويتذكرون ويتذاكرون في فترات متقاربة متلاحقة فلا يحتاجون لليلة سنوية يرونها رمز إهمال، ودليل تقصير أكثر من كونها علامة خير، وتأدية واجب.

والبخيل الشحيح الأشح هو من إذا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لم يصل ويسلّم عليه.

ومن آثار العبث بالاديان أنه يقال أن عيسى عليه السلام لم يولد في تاريخ مولده الحالي، ولكن مالكي الأشجار والغابات وتجار الخشب والحطب حددوا هذا الموعد لتباع أغصان الأشجار من أجل «الكرسمس» وهو وقت مناسب زراعياً لتقصيص الأشجار، وقطع الفروع والأخشاب! وبذلك أيضاً تسهم المناسبة في التدفئة الشتوية! عملية تجارية اقتصادية.

لكن هل هناك أسوأ من استغلال الدين وتسخيره لمصالح دنيوية وهل من وصف غير عظيم وشنيع لوصف هذا الذنب؟!

وهل أسوأ من مجموعة تعتبر مخالفة الدين رمزاً لوحدتها، وتضامن مجموعتها، وتماسك جماعتها، وإنها لنفسية مريضة تلك التي تتشبث بالخطأ الجسيم خشية مفارقة الجماعة المحيطة إذا كانت ضالة.

والرسول صلى الله عليه وسلم اختلف في تحديد تاريخ مولده ولم يكن مقطوعاً بأنه في يوم ١٢ ربيع الأول. وإنما هذا تاريخ وفاته، فهل من الاحتفاء به صلى الله عليه وسلم الاحتفال بيوم وفاته؟!

وحتى لو لم يجر اختلاف في تحديد التاريخ فإن الخلل النفسي ناجم عن الاهتمام بالفكرة، والايمان برمزيتها إلى المحبة والاستجابة والطاعة رغم أن ذلك ــ بشيء من التأمل ــ لايحقق المعنى إذا لم يوجد فعلا استجابة وطاعة في الأوامر، وامتناعاً عن النواهي.

وحتى في النواحي الإدارية العامة في الحياة إن

تخصيص أيام أو أسابيع في السنة للاهتمام بشأن من شئونها قد يكون له دور توجيهي وأثر توعية إذا أُحسن أداء ذلك، لكن قد ينتهي أحياناً أمر هذا اليوم أو الأسبوع إذا لم تصحبه توعية بالاستمرارية، وصحوة دائمة، وعناية ورعاية دائبة قد ينتهي أمر هذا اليوم أو الأسبوع بالشعور بأداء الواجب فيه، وبذل الجهد من أجله إستعداداً من قبل، ونشاطاً في الأثناء، وتأجيلاً لبعض الأمور اللازمة من أجله، وإنفاقاً مضاعفاً، يعقب ذلك تراخي أو استرخاء إلى أن يحين الموعد الآخر في العام القادم، فأسبوع المرور، أو النظافة، أو الشجرة، مانَفْعه إذا غرسنا الشجرة في الأسبوع ذاته، وأسقيناها لمدة ستة أسابيع مثلاً، ثم توقف الاسقاء والرعاية، لكننا أبقينا الشعور بأننا أدينا ماعلينا وأولينا اهتماماً بالزراعة والشجرة حتى لوماتت الشجرة! ولم يبق إلاّ عودها أو مكانها لشجرة أخرى في العام القادم!

إن اليوم أو الأسبوع الذي يصحبه أحاسيس نفسية راضية بأن الواجب أدى كاملاً في ذلك اليوم أو الأسبوع سواء كان دينياً أو إدارياً ضرره أكثر من نفعه، أما مايصحبه الشعور بأن الوصول إلى القمة

يتطلب المحافظة على الاستمرار بها، وأن اليوم أو الأسبوع إنما هو فاتحة تتطلب جهداً أو عملاً أكثر، وبناء أشمخ وأجود، فحينذاك يكون لليوم أو الأسبوع قيمة وفعالية سواء كان ذلك دينياً بشرط أن يشرع كالأعياد السنوية وهي الفطر والأضحى،والاسبوعية وهو يوم الجمعة، أو كان دنيوياً إدارياً يكون بداية عمل لامجرد موسم قصير مؤقت ينتهي بانتهاء وقته.

وإن من يتأمل عميقا النفسية الإسلامية، والعقلية الدينية والمسار الذي انتهجه الإسلام، وما يمكن أن يستنبطه بعد استقراء لأحكام الإسلام وتفكر في «فلسفته»، ولا أجد حرجاً في استعمال هذه الكلمة لأن كل شيء له فلسفة، وفلسفة الشيء حكمته وأهدافه وأغراضه ومنطلقاته ومرماه، وإن كنا كبشر نحاول إدراك ما يمكننا إدراكه، ولكن القدرة البشرية المحدودة تجعلنا نؤمن بقول من قال «عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء» ولكن الله سبحانه علّمنا، وعلم بعضنا أكثر من البعض الآخر وإن لم نؤت جميعاً من العلم إلا قليلاً، لكننا من أثر الاتباع والاعتراف.بأننا مهما بلغت

قدراتنا الفكرية فهي تقصر، ولا تصل ولا إلى حد إمكانية المقارنة بينها وبين القدرات والنظرات الفكرية الإسلامية التي فيها الرشاد والارشاد. ومن يتأملها في تعليماتها العديدة الرشيدة يلاحظ عدم الانسجام وتمام التنافر بينها وبين فكرة المولد النبوي قولاً وفعلاً وتقريراً، ويجد أن فكرة المولد النبوي تتناسب مع الأديان الأخرى بعد أن حرّفت وزيفت وأصبحت الكنيسة والصومعة غير قادرين على حفظ المنابع الأصيلة واتباعها، إن المولد النبوي ــ صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ــ مع بقية أسس وفروع ومُثُل الإسلام تذكر ببعض المسابقات التي تورد أربعة أشياء أو خمسة متماثلة ماعدا واحد منها؟ مثل رسم دوائر ومن بينها مثلث:

ه △ ه ه ه

ويتضح جيداً للرائي التوافق بين الحلقات واختلاف المثلث وشذوذه عنها، أو رسم ثلاث منارات وبينها رسم ضريح، أو سؤال عن موضوع من عدة فقرات، ثلاث منها جوابها الصحيح نعم، والرابعة لا، مثل:

هل يجوز شد الرحال لزيارة المسجد الحرام؟

هل يجوز شد الرحال لزيارة قبر ....؟

هل يجوز شد الرحال لزيارة المسجد النبوي الشريف؟

هل يجوز شد الرحال لزيارة المسجد الأقصى المستغيث؟

إن النفس لتدرك بإذن الله إذا تعلمت الإسلام، واقتفت آثار هُداته كل ما يبدو منه، وما يبدو دخيلاً عليه. وخاصة في المسائل الكبيرة الواضحة المعروفة التي لها آثار كبيرة على اتجاه المجتمع، وتحديد وجهته، ومسار تربيته وتعليمه وتأديبه وتقويم أخلاقه ومثله وقيمه.

وعوداً على تخصيص يوم في السنة لمناسبة ما، يلاحظ أن المجتمع الذي تغلب عليه فضيلة الصدق، ويقل فيه الكذب،قد فكر انه متحسن من الناحية النفسية تخصيص يوم للكذب هو اليوم الأول من شهر ابريل، يباح فيه الكذب الذي لا يضر ولايتجاوز

حدود المزاح المعقول الذي ليست له عقابيل مؤذية، ولكن في نفس الوقت يعطي هذا اليوم معنى أن إباحة الكذب في هذا اليوم منع قاطع، ورفض بات للكذب قبل ذلك اليوم وبعده. أي أن مايجرى فيه لايجرى فيما سواه.

أما المجتمع الذي يتخلى عن قيمه ومثله ويتفشى فيه الكذب والغش والمكر والاحتيال وإن لم يعم، فإنه قد يَحْلُو لَه ــ إن استمر على حاله ــ أن يخصّص يوماً للصدق! تشم فيه رائحة الصدق ولو مرة كل عام! على غرار يوم الحموات، أو يخصص أسبوعاً مثل أسبوع النظافة، على أن الأسبوع سيكون طويلاً مملاً لمن لم يتعود الصدق! كذلك الشخص الذي يقول عنه أصدقاؤه: إذا رأيت فلاناً يتعلثم فاعلم أنه سيحكي واقعة حقيقية، وسيحّدث بصدق، أما إذا رأيته مسترسلاً سلس القول، مطوّعاً للكلمات، فاعلم أنه يكذب كعادته!!

طبعاً، ليس المستحسن تخصيص يوم للصدق حتى ولو أريد بذلك السخرية من مجتمع الكذب، ولا يوم

كذبٍ، لأن الكذب لايستحق حتى يوماً، لكن المراد من الاسترسال مزيد من إيضاح أن تخصيص يوم في السنة لمناسبة لم ترد شرعاً تعطي نتائج عكسية في بقية أيام السنة.

ولكن المؤسف أن دخول جحر الضب حصل من البعض حتى بلغ الأمر بإحدى المجلات العربية للأطفال أن تقترح إيجاد شخصية بابا جحا تكون على غرار شخصية «بابا نويل» النصرانية. والعجيب أن النصارى ــ وخاصة العرب منهم ــ **حذرون جداً من الأخذ بأي فكرة أو منهج إذا كان لها جذور إسلامية**، ويحترزون بتحسين اتباع ماهم عليه، والتنفير مما عليه المسلمون، فإن عقد لهم مؤتمر أو اجتماع فهو لبحث أمور الناس ومساعدتهم ــ كما يدعون ــ وإن عقد اجتماع للمسلمين فهو رمز تعصب ــ كما يفترون ــ وليس لبحث أمور المستضعفين ومساعدتهم! وعجباً لمن يقتفي أثر خانقه، ولايفيق من غفلته ، و يعي مايراد به. ان مثل هذا المعنى، أو ماله وثيق صلة به يوجد في مقالة نشرت في مجلة اليمامة العدد ٧٩٤ في

١٤٠٤/٦/١٢ بعنوان «أضعف الايمان» للأخ الأستاذ داود الشريان هذا الكاتب الذي آتاه الله القدرة على الفحص والتشخيص، ومعرفة موطن الألم والداء، مما مكّن له توفيقاً في المعالجة ووصف الدواء، فليرجع إلى المقالة من رغب المزيد المفيد. قال تعالى: ﴿**هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله**﴾ ١١٩ آل عمران،وقبلها آية ذات علاقة.

«الدعاء مخ العبادة»

اللهم ياحيّ ياقيوم، يا ذا الجلال والاكرام، لا إلٰه إلا أنت الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، يامقلب القلوب والأبصار، ياكريم ياحنان يامنان، ياسامع النداء، وقابل الرجاء، ومجيب الدعاء، ياقوي ونحن الضعفاء، ياغني ونحن الفقراء، ياغافر الذنب، وقابل التوب، يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ثبت قلوبنا على دينك، وارزقنا سعادة الدارين، واجعلنا من المقربين ووالدينا ووالد والدينا وأهلنا وذرياتنا، ومن نحب، وجميع المسلمين، وصلىٰ الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

قطوف منْ حـروف

● قال صلى الله عليه وسلم : «إياكم والغلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» رواه أحمد والنسائي(٦) ص ٣٢٠.

● عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهى القلب». متفق عليه، ورو ياه من طرق بألفاظ متقاربة (٦) ص ٦٢٦.

● يقول منصور الفقيه المغربي رحمه الله [٧] :

خالفوني وانكروا ما أقول
قلت لا تعجلوا فاني سؤول

ماتقولون في الكتاب فقالوا
هو نور على الصواب دليل

وكذا سنة الرسول وقد
أفلح من قال مايقول الرسول

واتفاق من الجميع أصل وما
تنكر هذا وذا وذاك العقول

وكذا الحكم بالقياس فقلنا
من جميل الرجال يأتي الجميل

فتعالوا نرد من كل قول
مانفى الأصل أو نفته الأصول

فأجابوا وناظروا وإذا العلـ (م)
ـم لديهم هو اليسير القليل

● و يقول الشاعر وليد الأعظمي[٨] :

قـد ابـتـلـيـنـا بـداء لادواء لـه
والـكـفـر أدهى على الدنيا من السقم

صرنـا نـرى الـكفر عنوان النهوض لنا
والكفر عنوان موت العز والشمم

و يقــول :

يـامـن تـريـد الخير دونـك نـبـعه
قـم رد قـلـبـك مـن نمير المـنـبـع

واغـسـل بـه درن الحـيـاة وخـبـثـهـا
واسـلـك سـبـيـل المبصر المتـتـبـع

إن الـرجـوع إلـى الـصـواب فـضـيـلـة
والـطـيـش كـل الـطـيـش إن لم ترجع

* * *

مـا أنـزل الـقـرآن كـي يـتـلـى عـلـى
قبر تـمـدد فـيـه مـيـت لايـعـي

* * *

هـذي الـقـشور فلا تـقـيـمـوا حـجـة
منهـا عـلـى اسـلامـنـا لـلـمـدعـى

مـا أنـزل الـقـرآن إلاّ منهـجـاً
لـلـنـاس يهـدف لـلـنـعـيم الـمـمـرع

تـسـتـنـبـط الأحـكـام من آيـاتـه
و يـكـون لـلـتـشـريـع أفـضـل مـرجـع

عـز الجـدود بـه فـكـانـت نهـضـة
جـبـارة قـامـت عـلـى أسـمـى دعـى

عـرفـوا الحـقـوق فـلـم يـريـدوا فـوقـهـا
وتـمـسـكـوا بـالحـق دون تـوسـع

ورأوا عـلـيهـم واجـبـات فـاغـتـدوا
صـبـراً عـلـيهـا بـالـعـزيمـة والـسـعـى

و يقول أيضاً :

بـاتـبـاع الـرسـول سـاد الاوائـل
وبـهـدى الـقـرآن سـاروا جـحـافـل

بسلاح الايمان لابالقنابل
بهداهم قد أزهقوا كل باطل

بهداهم قد ذللوا كل صعب

باتباع الرسول عم السلام
باتباع الرسول زال الخصام

باتباع الرسول ساد النظام
باتباع الرسول عاش الأنام

برخاء ورحمة وبحبّ

* * *

والله الموفق لما فيه الخير والصلاح والإصلاح

والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم

المراجع

١ ــ «الافصاح على المذاهب الأربعة» لابن هبيرة ص ١٣٥ نشر المؤسسة السعيدية بالرياض ١٣٩٨هـ.

٢ ــ «صحيح البخاري» الجزء الأول ص ٣٤٢، نشر دار المعرفة بيروت.

٣ ــ «حكم وأحكام من السيرة النبوية» للشيخ عبد الله عبد الغني خياط إمام وخطيب المسجد الحرام، نشر دار الرفاعي ١٤٠١.

٤ ــ «حوار مع المالكي» للشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤٠٣هـ.

٥ ــ «الرد القوى على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي» للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري، دار اللواء، ١٤٠٣هـ.

٦ ـ «منهاج الصالحين» عز الدين بليق، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت، ١٣٩٨هـ.
٧ ـ مجلة الجامعة الإسلامية/العدد الأول/السنة الحادية عشرة رمضان ١٣٩٨هـ ص ١٧٣.
٨ ـ ديوان «الزوابع» للشاعر وليد الأعظمي، شركة مكتبات عكاظ ص ١٨.

صـــدر الكـــتاب الاول للمـــؤلـف

علي بــن محمــد العــيسى

ما استــطــعت

عــــن

التربيــة والمجـتمع

« ١ »

الـناشــر/ دار العلـــوم / الرياض

ص.ب: ١٠٥٠

صدر الكتاب الثاني للمؤلف

علي بن محمد العيسى

الرأي ما ترون

عن

التربية والمجتمع

« ٢ »

الناشر/ مكتبة الخريجي / الرياض

ص.ب ١٧٧٣٢

تحت الطبع الكتاب الرابع للمؤلف

علي بن محمد العيسى

قبيلة آدم
؟ !!

عن

التربية والمجتمع
« ٤ »

الناشر/ مكتبة الخريجي / الرياض

ص.ب ١٧٧٣٢

تحت الطبع الكتاب الخامس للمؤلف

علي بن محمد العيسى

إلى من يقرأ

عن
التربية والمجتمع
«٥»

الناشر/ مكتبة الخريجي / الرياض

ص.ب: ١٧٧٣٢

في طريقه للنشر الكتاب السادس للمؤلف

علي بن محمد العيسى

كلام في زمنه

عن

التربية والمجتمع

« ٦ »

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض المعذر ٤٨٢٤٩٨٣/٤٨٢٤٨٦٥